القسم الاول
الغــريمان

الفصل الاول

اذا خطر يوما لاحد المؤلفين أن يضع رسالة عن «الابواب» فلاشك انه سيستهلها بتعريف عام للباب بأنه فتحة فى الجدار يدخل الانسان منها أو يخرج . وقد يعقب على هذا بشىء من الفلسفة فيقول أن ولادة الانسان ومماته بمثابة باب للدخول الى هذه الدنيا أو الخروج منها .

وينتقل المؤلف بعد هذا الى شرح ما يسميه الامريكيــون « سياسة الباب المفتوح » ثم يتحدث عن الابواب ذات الشهرة التاريخية فيشير بنوع خاص الى باب كاتدرائية (بواليسية سيرلوا) الذى كتب عليه المتمرد الفرنسى فولتير بخط يده كلمات لاذعة مهينة وجهها الى قداســة البابا .. وقد يذكر الباب الذهبى الموجود بمعبد باشكا بمدينة الله اباد . وقــد يذكر باب قصر آل بورجيا الذى لا يمر منه الانسان الا اذا رشقت جسده خناجر مسمومة تبرز من مواضــع خفية فى هذا الباب .

نعم .. قد يذكر المؤلف كل هذا فى رسالته عن «الابواب» ولكن اغلب الظن انه لن يشير بكلمة واحدة الى باب « نادى برنار » الموجود فى قلب مدينة لندن . ومن واجبنا أن نلوم المؤلف ونؤاخذه على هذا الاهمال فقد اصبحت لهذا البــاب قيمته التاريخية بعد ان فتح فى ساعة متاخرة من ســاعات الليل وخرج منه ارسين لوبين .

فمنذ هذه اللحظة كتب لهذا البــاب فى التاريخ سجــل جديدا اذ صار « باب المغامرات » .. !

ووقف ارسين لوبين على الافريز وسيجارته بين شفتيه والهواء البارد يضرب جبينه فينعشه ويخرجه من هذا الخمول

الذى كان مستوليا عليه بعد أن امضى فترة من الوقت فى هذا النادى المزدحم المكتظ بالانفاس الحارة .

وكان هوبى بريجز واقفا الى جــواره مرتديا بذلة من الصوف وفى رباط قميصــــه دبوس كبير من الماس . وكان كصاحبه لا يقل كسلا وتراخيا عنه اذ كان لا يفتأ يرفع يده الى فمه ويتثاءب .

وتنهد مستر بريجز فى اسى وقال :

ــ قل لى يا زعيمى .. أهذه السهرة هى ما يسمونها ليلة عظيمة فى هذه المدينة ؟ فقال لوبين مجيبا :

ــ نعم .. اخشى أن يكون هذا هو الوصف الذى يطلق هنا على مثل هذه السهرة ..

ويصق هوبى على الارض فى ازدراء فقد كان لا يطيــق عادات وطبائع هذه المدينة الراكدة الوسنانة .

لقد كانت حياته فى امــريكا سلسلة متصلة من الصخب والحركة فالسهرات هناك تعج بموسيقى « الجازباند » الثائرة فاذا خرج من المرقص اشتغل بالتهــريب ووجــد فى دوى الرصاص ما يغنيه عن انغام الموسيقى . اما هنا فى لندن فالامر يختلف عن ذلك كثيرا .

وبصق هوبى على الارض للمرة الثانية وقال :

ــ ان الحياة هنا لا تطاق .! ما معنى أن يرفعوا الخمــر من امامنا بحجة أن الليل قد انتصف .! وما معنى أن ندفع خمسة شلنات فى قدح من الخمر كما يسمونها مع انها فى الواقع عبارة عن قدح من الليمونادة مزجت بنقطة واحدة من الخمر .. هل فى هذا شىء من العدل .. هل فى هذا شىء من الانصاف ؟ وفرقة الموسيقى ؟ هل يمكن أن تسمى فرقة وهى مكونة من ثلاثة اشخــاص يعزفون قطعا عادئة ينــام على انغامهــا حتى المصاب بالارق ومع ذلك فالناس يتقبلون كل هذا صــامتين راضين . لو ان شيئا من هذا حــدث فى نيويورك لرأيت مائة

رصاصة قد استقرت فى قلب صاحب النادى !

وتنهد هوبى بريجز وقال :

ـ ان الحياة فى انجلترا لا تعجبنى ؟

فابتسم لوبين وأجابه بقوله :

ـ ولكنك ستألفها فيما بعد .

ونفث من فمه سحابة كثيفة من الدخان . ورفع نظره الى السماء القاتمة وقد أخذت تمطر رذاذا خفيفا . ثم ارسل بصره الى الطريق علّه يرى سيارة مقبلة فيستوقفها . وحالفه الحظ فراى سيارة تقترب منهما فلما صارت على مسافة بضعة أمتار فطن الى أن بداخلها شخصا فهز رأسه وقال آسفا :

ـ يظهر أننا سنضطر الى المشى فى هذا المطر .

ولكن السيارة مالبثت أن وقفت أمام «نادى برنار» فجذب لوبين صاحبه هوبى من ذراعه وهو يقول :

ـ قف .. ان الحظ معنا ولن نضطر الى الاستحمام فى المطر ..

ورجعا ادراجهما متجهين الى النادى .. وفتح باب السيارة وهبطت منها فتاة رشيقة وأخذت تبحث فى حقيبتها برهة ثم قالت تخاطب السائق :

ـ اخشى الا يكون معى نقود صغيرة

وراق صوتها فى اذن لوبين اذ كان له نغم موسيقى لطيف الوقع .

ودمدم السائق بكلمات غير مفهومة ثم هبط من سيارته وأخذ يفتش جيوبه فبدأ بجيوب المعطف ثم بجيوب الجاكتة ثم بجيوب الصديرى ثم بجيوب البنطلون .. ولكن هذا التفتيش الطويل لم يسفر عن العثور على « الفكة » المنشودة فقال معتذرا :

ـ آسف ياسيدتى .. فليس معى «فكة» انا ايضا ..

فقالت الفتاة :

ـ اذن .. انتظر لحظة ريثما اصرف الجنيه فى الداخل وابعث اليك بأجرك .

ولكن ارسين لوبين الذى كان يرقب ما يجرى لم يشأ ان يدع هذه الفرصة تفلت منه . فرصة التعرف بفتاة حسناء رشيقة . فدنا منها واحنى راسه وهو يقول :

ـ عفوا .. هل يمكن ان اقوم باية خدمة ..؟

فاجفلت الفتاة حين سمعت صوته اذ كان ظهرها الى ناحيته ولم تسمع وقع خطواته وهو يقترب منها فلما أدارت اليه وجهها أدرك أنها على حظ موفور من الجمال .

ولم تجبه الفتاة على سؤاله وبان التردد فى وجهها . وعلى حين بغتة خيل الى لوبين أنه راى بريقا من الخوف يتجلى فجأة فى عينيها . ولكنه كذب ما راى وظن أن ضوء الطريق الخافت قد خدعه . وأجابت الفتاة بقولها :

ـ اننى اريد أن أصرف جنيها .

فتناول منها لوبين الورقة المالية وأعطاها بديلها قطعا فضية صغيرة فنقدت السائق أجره وهمت بأن تدخل الى النادى ولكن لوبين ـ نهاز الفرص ـ قال لها باسما :

ـ ليس فى النادى أية متعة تلذ للانسان .. ومع ذلك فاين وسادتك .. ؟ فقالت الفتاة مستغربة :

ـ وسادتى ..! وهل لابد ان يحمل كل داخل الى النادى وسادة معه .. ؟ فاحنى لوبين راسه وقال :

ـ طبعا .. فان الموسيقى التى يعزفونها هنا تجلب النعاس

وضحكت الفتاة وتالقت عيناها جذلا .

وفجأة تبدد هذا السرور وظهر فى عينيها للمرة الثانية بريق الخوف المفاجىء ودهش لوبين ولكنه ظن مرة أخرى أن بصره يخدعه .

وقالت الفتاة مقتضبة الحديث :

ـ شكرا لك .. طاب مساؤك ..

ثم اولته ظهرها ودخلت مسرعة الى النادى وهو يتابعها بنظراته وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة حائرة . وظل يرقبها حتى توارت خلف الباب .

وتنهد لوبين ووضع قبعته على راسه وقبل ان يتحول ليصعد الي السيارة شعر بيد توضع على كتفه وسمع صوتا يقـــول :

ـ اتعرف هذه الفتاة .. ؟

وكان مخاطبه هو مستر ويليام تيل كبير مفتشى ادارة سكتلنديارد وقال لوبين فى لهجة تدل على الاسف :

ـ من الواضح اننى لا اعرفها . وقد حاولت ان أتعـرف بها ولكنها بكل أسف لم تكن متلهفة الى سماع صوتى . ثم تنهد وأردف :

ـ وهكذا الدنيا يا عزيزى تيل .. شـاب جذاب مثلى ومع ذلك لا يجد لنفسه مكانا فى سوق الحسان .. !

وجعل المفتش تيل يتفرس فى ارسين لوبين بعينين نصف مغمضتين . وكان لوبين يعرف أن هذه النظرة يمكن أن تفسر بانها نظرة ودية لان تيل لا يحملق بعينيه الا اذا كان ينوى شرا

وتحركت يد المفتش تيل وانزلقت فوق كتف لوبين حتى انتهت الى الورقة المالية فاطبق عليها باصابعه . ورفع لوبين حاجبيه فى دهشة واستغراب فقال له المفتش :

ـ أتسمح لى بان القى نظرة على هذه الورقة ..؟

ولم تكن لهجة تيل وهو ينطق بهذه الجملة تدل على انه يقصد معناها وانه يطلب الاذن حقا . اذ الواقع انه نطق بها فى لهجة آخرى .

وللمرة الاولى حانت التفاتة من لوبين الى الطريق فرأى شبح رجل يقف مستترا بالجدران والظلام .

وادار لوبين رأسه على الفور الى الناحية الاخرى فرأى رجلا آخر .. ثم رأى رجلا ثالثا .

وعرف لوبين على الفور ان هؤلاء الرجال من أعوان المفتش تيـل .

ونفث لوبين من فمه خيطا طويلا من الدخان وابرقت عيناه اذ اشتم رائحة مغامرة جديدة تفوح من الافق .. والحيـاة عنده لا تطيب الا اذا حفلت بالمغامرات .

فها هو ذا الطريق قد انقلب فجأة يعج برجال البوليس السرى وعلى رأسهم كبيرهم مستر ويليام تيل .

وتيل لا يتحرك الا اذا كان فى أثر صيد كبير .

وارسين لوبين لايمكن ان يدع فرصة كهذه تفلت منه .

فما دام هذا الجمع من البوليس الاذكياء قد التأم فى مكان واحد فان واجبه يقضى عليه ـ بصفته أرسين لوبين ـ بأن يبادر فيتهكم على هذا الجمع ويهزأ به محاولا ان يفسد تدبيراته ويعرقل خططه .

ونظر المفتش تيل فى الورقة المالية على ضوء المصباح فقال له لوبين : ـ ماشأنها ..؟

فلم يجب تيل على هذا السؤال وانما طوى الورقة وأخرج محفظته فوضعها فيها وهو يقول :

ـ هل لديك مانع من ان احتفظ بها ..؟

فأجابه لوبين فى غير مبالاة :

ـ افعل ماشئت .. ولكن خبرنى .. هل تنوى أن تنشىء متحفا تعرض فيه هذه الاوراق .. ؟ اذا كان الأمر كذلك فانى على استعداد لان أقدم اليك رزمة منها ..

ونظر المفتش تيل الى اثنين من أعوانه كانا واقفين عنـد منعطف الطريق ففهما معنى نظرته واقتربا منه .

وقال المفتش تيل يخاطب لوبين فى شىء من التهكم :

ـ انى اعجب لك يالوبين كيف تؤخذ بمثل هذه السهولة بعد أن بلغت أرذل العمر فتخدعك فتاة صغيرة وتقدم اليك ورقة مالية مزيفة .

فابتسم لوبين وقال :

— ولكن الا تعلم باننى اغتبط حين اترك النساء يخدعننى وانا عالم بخديعتهن لى .. ! هذه فلسفة عالية فهل تفهمها .؟

ثم اردف يقول :

— ومع ذلك فاننى لا اوافق على ان تحتكر الحكومة اصدار الاوراق المالية . ولهذا أميل فى كثير من الاحيان الى ان اشجع مثل هذه المنتجات الفردية .

فضحك المفتش تيل وقال :

— لقد رايتك وانت تشجع الفتاة .. وانى التمس لك عذرا لانها فى الواقع فتاة جميلة رشيقة .. ولكن الا ترى من الخطر أن تحمل ورقة مالية مزيفة . فانها أن ضبطت معك وقعت عليك التهمة بأنك مزيفها . وسمعتك المعروفة ستكون أقوى دليل ضدك .

ولاحت امارات الاسف على وجه المفتش تيل كأنما ندم على ضياع هذه الفرصة منه فقال :

— لو اننى ذكرت ذلك من قبل لما تسرعت بأخذ الورقة منك .. ولتركتك قليلا حتى أقبض عليك وانت متلبس بوضعها فى محفظتك

فابتسم لوبين .. ولكنها كانت ابتسامة فاترة اذ كان ذهنه منصرفا الى التفكير فى مسألة أخرى .

ثم أردف يقول فى صوت رقيق :

— يجب أن اعترف ياتيل بانك تحبنى حبا عظيما . وبانك دائما تتمنى لى الخير .. ومع ذلك ففى وسعك ان تعيد الى الورقة فان الفرصة لم تفلت منك بعد .. وهاهم رجالك منبثون حولك فاستعن بهم فى القبض على

فقال مستر تيل مجيبا :

— ان لدى الآن ماهو أهم من ذلك ..

ثم اشار الى رجاله بان يتبعوه وقال مخاطبا لوبين :

— انى اعرف أين اجدك اذا ما أردت الى أن اسمع شهادتك عن هذه الورقة .

ثم مشى الى باب النادى وخلفه أعوانه . وان هى الا لحظات حتى كان النادى قد احتواهم فلم يبق فى الطريق الا لوبين وهوبى بريجز . وكذلك سيارة التاكسى وسائقها .

وجعل لوبين ينظر برهة الى باب النادى ثم انتزع سيجارته فجاة من بين شفتيه والقاها على الارض وفركها بقدمه بشدة ثم وضع يديه فى جيوبه فلمست اصابعه مافيها من قطع فضية .

وذكر عند هذا ان هذه القطع قد نقصت بمقدار عشرين شلنا دفعها الى الفتاة .. وانه فى مقابل هذه العشرين شلنا اخذ ورقة مالية من فئة الجنيه .. ولكنها كانت ورقة مزيفة؟

وذكر ايضا الفتاة التى اعطته هذه الورقة .. وذكر وجهها البسام . وومضات الخوف التى التمعت فجاة فى عينيها الجميلتين .

وسيقبض تيل على هذه الفتاة .. وسيزجها فى السجن وحرام أن يكون هذا الجمال نزيل السجون ؟

ولكن ماذا يستطيع لوبين أن يفعل لكى ينقذها ؟

كيف ينقذ فتاة من براثن أربعة من رجال الشرطة الاشداء؟

ان هذا بلاشك امر مستحيل .

وسمع لوبين دويا خلفه .. هو دوى سيارة التاكسى التى جاءت بالفتاة وقد ادار سائقها المحرك استعدادا للمسير .

ودار لوبين على عقبيه فجاة وجعل ينظر الى السيارة برهة وهو يفكر ..

ثم تقدم فجاة الى سائق السيارة وقال له :

— اخبرنى أيها الاخ .. هل هذه السيارة ملكك ؟

فقال السائق مجيبا :

— نعم .. أنها ملكى .. فهل تريد أن تشتريها ؟

فكان جواب لوبين :

— نعم .. اننى اريد أن اشتريها

الفصل الثاني

حين سمع السائق جواب ارسين لوبين انفرج فمه عن ضحكة عريضة فقد سبق له ان سمع هذا القول من شبان سكارى مخمورين يحبون المزاح ولكنه رأى ان يجارى لوبين فى مزاحه فقال : ـ انها مزحة لطيفة منك يا سيدى .

ـ انني لا امزح .. انى اجمع انواعا مختلفة من السيارات لأعرضها فى متحف انشأته لهذا الغرض .. كم تريد ثمنا لها ؟

ففكر السائق برهة ثم رأى ان يجارى هذا الممازح الى اقصى حد ولم يجد بأسا بان يذكر اى رقم يخطر على باله .. وكان رقم خمسمائة جنيه هو الذى خطر له فى هذه اللحظة حقيقة ان ثمن هذه السيارة وهى جديدة لا يمكن ان يساوى اكثر من ثلاثمائة جنيه أما الآن وهى بحالتها الراهنة فلعلها لا تساوى شيئا ؟ ولكن ماذا عليه لو انه ذكر انه يريد ثمنا لها خمسمائة جنيه مادام الامر كله لايخرج عن حد المزاح

وابتسم السائق وقال :

ـ لا يمكن أن أفرط فيها بأقل من خمسمائة جنيه .

فأخرج لوبين محفظته وعد منها خمس ورقات من فئة المائة جنيه ثم دسها فى يد السائق .

وحملق السائق دهشا فى لوبين ثم قال وهو يهز رأسه فى استغراب : ـ ما معنى هذا ؟ هل تهزأ بى ؟

فقال لوبين باسما :

ـ أليس هذا هو الثمن الذى طلبته ؟ وهاك خمسة جنيهات اخرى ثمنا لقبعتك ومعطفك فانى أحب أن أشتريهما أيضا . فهتف السائق يقول وهو يخلع معطفه :

ـ انى لن اضن عليك حتى ببنطلونى وقميصى ؟

وجعل لوبين يرقب السائق وهو ينصرف حتى توارى فى احشاء الظلام .. أما هوبى بريجز فكان واقفا كالابله ينظر الى لوبين فى استغراب وهو يحاول أن يفهم معنى ماحدث .

واخيرا فتح فمه متسائلا :

ـ ما معنى هذا المزاح وما غرضك منه .. ؟

فوضع لوبين يده على كتفه وقال ضاحكا :

ـ ان لهذا المزاح معنى عميقا عويصا يمكنك ان تفهمه فى خلال العشر السنوات القادمة .

وكان لوبين فى خلال ذلك يرتدى بسرعة معطف السائق ويلف كوفيته حول عنقه .

وكان الطريق خاليا من المارة فلم يره احد وهو يفعل ذلك ثم نزع قبعته من فوق رأسه ووضع مكانها قبعة السائق التى من طراز « الكسكيت » وأرخى حافتها على عينيه حتى تحجب ملامحه . وقال لوبين مخاطبا هوبى بريجز :

ـ انك لا تستطيع ان تبقى معى .. فخذ قبعتى واذهب الى منزلى الكائن بشارع آبوت بحى شلزيا رقم ٢٦ وانتظرنى هناك حتى أوافيك .. وستجد على المنضدة زجاجة من الخمر المعتقة .

فانفرجت أسارير هوبى عن ابتسامة مخلصة وقال :

ـ شكرا لك ..

وتناول المفتاح الذى قدمه اليه لوبين ثم مالبث أن غاب فى طيات الظلام .

وكان هوبى بريجز طول الطريق يحاول أن يفهم السر فيما حدث .. ! لماذا اشترى لوبين السيارة .. ؟ ولماذا ارتدى معطف السائق .. ؟ ولماذا .. ؟ لماذا .. ؟ لماذا .. ؟

وبعد أن أدمن التفكير فى هذه المعضلة فترة طويلة لم يوفق الى جواب معقول لأن مخه لم يكن معتادا على التفكير . ولهذا قنع من الامر بمسألة واضحة فى ذهنه تمام الوضوح وهى انه سيجد فى البيت زجاجة من الخمر المعتقة .. ! فحسبه هذا وشكرا للزعيم .. !!

اما لوبين فصعد الى السيارة وجلس فى مكان القيادة .

وبعد دقائق فتح باب النادى وخرج منه المفتش تيل وادار عينيه فى ارجاء الطريق .

ثم التفت الى اثنين من رجاله وقال :

ـ عودا الآن الى داركما فلست فى حاجة اليكما الليلة .

ورفع يده وأشار الى التاكسى بالدنو . فلما جاءه قال يخاطب الشخصين اللذين قبض عليهما فى النادى وجاء بهما معه . ـ اصعدا الى السيارة ..

وكذلك صعد اليها أحد رجال البوليس السرى الثلاثة .

وقال مستر تيل يخاطب السائق :

ـ اذهب بنا الى مخفر بوليس كانون ..

وصعد بدوره الى السيارة وجلس على المقعد المقابل لسجينيه .

وانطلقت السيارة تسير فى الاتجاه المقصود .

واخرج تيل ساعته وجعل ينظر فيها وهو يحسب الوقت الذى ينتظر أن يفرغ فيه من هذه المهمة حتى يتمكن من العودة الى بيته لينام .

أما مساعده فأخذ يتأمل أظافره برهة من الوقت فلما ضاق ذرعا بذلك جعل يقضمها بأسنانه .

أما الاسيران فكانا صامتين .. واحدهما الفتاة التى اعطت ارسين لوبين الورقة المزيفة اما الثانى فشاب أسود الشعر يرشق فى رباط رقبته دبوسا كبيرا من الماس مما لا يمكن أن يقره أى شخص سليم الذوق .

وكان تيل لا يلقى أى اهتمام الى سجينيه بل كان جالسا تلوح على وجهه المكتنز أمارات الهدوء والاطمئنان . فقدكانت القضية التى هو بصددها بسيطة غير معقدة وتدخل فى نطاق عمله اليومى المألوف : فهذه ورقة مالية مزيفة يعثر عليها البوليس فتبدأ عند ذلك التحريات المعروفة وتضيق الشبكة رويدا رويدا حتى تنطبق على الرجل المطلوب .. وهذا شىء

يحدث دائما .. وبانتظام .. الا اذا كان الرجل المطلوب .. هو .. ارسين لوبين .. فان الشبكة اذ ذاك تنطبق على الهواء اذ سرعان ما يفلت منها لوبين .. !

وعندما ذكر المفتش تيل غريمه ارسين لوبين قطب حاجبيه غيظا .

وكانت السيارة فى خلال ذلك قد قطعت مسافة طويلة وهى منطلقة بأقصى سرعتها . ولكنها على حين فجاة اخذت تهدىء من سيرها ثم وقفت دفعة واحدة وسكن دوى محركها

وانتبه تيل من استرساله ونظر حوله غاضبا .. ورأى السائق ينزل من السيارة ويرفع غطاءها الامامى وينحنى على الآلات ليفحصها .

وكانت السيارة قد وقفت فى شارع ضيق لم يعرفه مستر تيل اذ كان غارقا فى خواطره ولم ينتبه الى الطريق الذى سلكته السيارة . واخرج رأسه من النافذة وهو يقول :

ـ ماذا جرى ؟ فأجابه السائق بقوله : لا أدرى !

وظل منهمكا فى فحص آلات السيارة .

ولبث تيل صامتا بضع دقائق وهو يعبث بأزرار معطفه فلما نفد صبره التفت الى مساعده وقال :

ـ انظر أين نحن الآن بادرهام .. وابحث لنا عن سيارة اخرى .

ونزل درهام من السيارة واخذ ينظر هنا وهناك فلم ير سيارة مقبلة . ولم يكن معقولا أن تمر سيارة فى مثل هذا الطريق الضيق . فدنا من السائق الذى كان لايزال منحنيا فوق الآلات وقال له : ـ أين أقرب موقف للسيارات ؟

فأجابه السائق بقوله :

ـ أقرب موقف فى محطة فكتوريا على مسافة عشر دقائق ومع ذلك فاظننى أصلحت الخلل .. فانتظر لحظة واحدة فانى اعتقد انها ستمشى .

وادار السائق المحرك ثم جلس الى مقعد السيارة .

ومشت السيارة فعلا .. بل لقد مشت اكثر مما كان يتمنى السير جنت درهام !

أما ما حدث فى تلك اللحظة فكان مفاجأة للجميع لم يشعر به حتى المفتش تيل نفسه .

لقد رأى تيل السائق ينزل الغطاء الامامى ويدير المحرك ثم رآه يجلس الى عجلة القيادة .. ولكنه لم يفطن الى ان السائق استطاع ان يصل الى مقعده بسرعة عجيبة غير معهودة فى سائقى السيارات . ولذلك لم يفهم تيل حقيقة المناورة التى حدثت الا .. الا بعد أن حدثت

أما السير جنت درهام فلم يكن يتوقع أن تنطلق السيارة قبل ان يصعد اليها وأن يترك واقفا فى الشارع

ولكن هذا هو الذى حدث فعلا . فحين وضع درهام يده على المقبض ليفتح الباب انطلقت السيارة فجأة قبل ان يتمكن من فتحه وما لبث أن غابت عن عينيه وتركته فى مكانه فاغر الفم مذهولا .

وبلغ من شدة ذهوله أنه لم يلتفت الى رقم السيارة ولم يحاول أن يقرأه .

وكان من اثر رد الفعل الذى حدث بسبب انطلاق السيارة فجأة ان ترنح مستر تيل الى الامام فوجد نفسه بين ذراعى اسيريه ولم يستطع أن يعتدل ويرجع الى مقعده الا بعد ان قطعت السيارة مرحلة كبيرة فأخذ ينقر بشدة على زجاج النافذة التى تفصل بينه وبين السائق ولكنه لم يسمع جوابا

وعندما تمكن من فتح هذه النافذة كانت السيارة قد قطعت مرحلة أخرى أكبر من الاولى !

ورفع مستر تيل صوته ليعلو به على دوى آلات السيارة وصاح يقول :

ــ هل أنت مجنون يارجل ! لقد تركت مساعدى وراءنا !

فصاح السائق دون ان يلتفت ودون أن يخفف من سرعة السيارة :

ــ ماذا تقول ؟ فصاح مستر تيل وقد اشتد غضبه :

ــ انى اقول لك ايها الغبى انك تركت مساعدى خلفنا !

فصاح السائق يقول : خلف اى شىء ؟

وانعطف بالسيارة فجأة الى اليمين فى حركة حادة عنيفة فارتمى مستر تيل الى الركن الايسر من تأثير رد الفعل . فلما اعتدل اخرج رأسه من النافذة وصاح بأعلى صوته يقول :

ــ اوقف هذه السيارة .. أفهمت ؟

فهز السائق رأسه وانعطف بالسيارة الى الناحية الاخرى وهو يقول : ارفع صوتك قليلا فان سمعى ثقيل .

فمد تيل يده من خلال النافذة وأمسك بكتف السائق واخذ يهزه فى عنف وهو يصيح فى أذنه مزمجرا :

قف ! قلت لك قف ! قف والا دققت عنقك .

فقال السائق : ماذا تقول عن عنقى فانى لا أسمعك .

واستولى الغضب على المفتش تيل وهم بأن يلعن السائق الف لعنة ويصف آباءه واجداده بأقبح النعوت . ولكن قبل أن يجرى لسانه بهذه الشتائم خيل اليه انه سمع حركة خلفه ذلك أن سجينه رأى فى انهماك المفتش مع السائق فرصة هيأتها له السماء لكى يسعى الى الفرار . فحاول أن يضرب المفتش على رأسه من الخلف ولكن تيل شعر بحركة الرجل واستطاع أن يتفاداها فى اللحظة المناسبة .

وكان النضال الذى أعقب ذلك قصيرا انتهى بفوز المفتش تيل على غريمه . فقد كان خبيرا بمعالجة الاسرى المتمردين فلم تستغرق المعركة اكثر من بضع ثوان كان الرجل فى نهايتها مكبلا بالحديد . ورأى تيل زيادة فى الحرص ان يربط يد السجين فى أحدى « العلاقات » التى توجد فى داخل كل سيارة لكى يمسكها الانسان اثناء جلوسه .

ثم تحول بعد ذلك الى السائق لكى يتم ما كان قد بدأ في
ولكن السيارة كانت من تلقاء نفسها قد بدأت تخفف من سرعتها .

وامضى تيل دقيقة كاملة يأخذ فيها نفسا طويلا حتى يتمكن من صب لعناته على السائق دفعة واحدة دون ان تنقطع انفاس ثم انطلق يرمى السائق بأقذع الشتائم .

ووقفت السيارة فجأة ولم ينطق السائق بكلمة واحدة ولكنه انحنى فوق عجلة القيادة وأخفى وجهه فى ذراعيه وأخذ كتفاه يهتزان ويرتفعان وينخفضان .

ولم يصدق تيل ما سمعت أذناه . فقد كان السائق ينشج بالبكاء . وناداه مستر تيل بقوله : هيه !

ولكن السائق لم يتحرك ولم يلب النداء .

وأحس تيل شيئا من القلق والحيرة . واستعاد فى ذهنه تلك الكلمات القاسية التى وجهها الى السائق فى لحظة غضبه وثورته . وقال لنفسه : اتراني كنت متسرعا !؟

فقد كان محتملا ان السائق ثقيل السمع حقيقة . ومن المحتمل انه تكدر حين هدده تيل بأن يدق عنقه .

وهذه الشتائم اللاذعة التى وجهها اليه تيل .. لقد كانت فى الواقع اهانة اليمة وربما كان السائق رقيق الاحساس فاثرت فى نفسه ودفعته الى البكاء .

وكره تيل أن يستمر فى قسوته فصاح مرة أخرى يقول :

ـ هيه ! ماذا جرى ؟

فكان الجواب الوحيد الذى سمعه ان ارتفع صوت السائق بالبكاء واشتد نحيبه .

ورطب مستر تيل شفتيه بلسانه فى شيء من الحيرة ثم وضع أصبعه داخل ياقته وجعل يشدها ليوسعها كانما كان يختنق .

حقيقة أن له فى الحياة تجارب كثيرة ولكن هذه التجربة

لم تمر به من قبل ولم يكن يدرى ماذا ينبغى عليه ان يصنع فى مثل هذا الموقف .

وذكر انه قرأ فى بعض الكتب ان خير علاج يمكن ان يلجأ اليه الانسان اذا بكت أمامه امرأة أن يخاطبها بشدة فان هذه الشدة كفيلة بان تجعلها تكف عن البكاء

ورأى تيل أن يجرب هذه الطريقة مع السائق الباكى فصاح فجأة يقول : هيه ، ارفع راسك !

ولكن السائق لم يرفع راسه !

وسعل تيل فى شيء من الحيرة ونظر الى سجينيه فلما اطمأن الى أن لا سبيل الى فرارهما رأى من واجبه ان يخفف الى السائق فيسرى عنه ببضع كلمات رقيقة .

وفتح تيل باب السيارة ونزل الى الطريق .

وفى هذه اللحظة بالذات ، فى اللحظة التى وضع فيها تيل قدميه على الارض . فى هذه اللحظة وقع الحادث الغريب الثانى ، فقد رأى السائق على غير انتظار ان يطيع أمر المفتش تيل فاعتدل ورفع رأسه .

ولم يكتف السائق بذلك ولكنه رفع أيضا قدمه ثم ضغط على آلات السيارة فاذا بها تثب دفعة واحدة الى الامام وتنطلق بأقصى سرعتها تاركة المفتش تيل يحملق فيها مذهولا مبهوتا وهى تغيب عن ناظريه !!

الفصل الثالث

لم تقف السيارة بعد أن انطلقت بمثل هذه السرعة الاحين بلغت شارع سلون فترك لوبين عجلة القيادة وفتح الباب ونظر الى الشاب السجين وقال : اظن انه لا بد لك ان تتركنا أيها الاخ

واخرج من جيبه مفتاحا صغيرا فتح به القيد الذى يكبل به السجين ليخلصه من «علاقة» السيارة ثم ساعده على النزول ومشى به الى حديقة قريبة فشده الى السياج بواسطة القيد بعد ان أغلقه غير عابيء باحتجاج الشاب ونظراته الحانقة

ثم رجع الى الفتاة وابتسم فى وجهها وقال :
ـ اظنك تؤثرين ان تنزعى هذا السوار ؟
وبنفس المفتاح فك القيد من يديها وقذف به الى عرض الطريق

ثم رجع الى الشاب وقال له : ساتركك مشـــدودا الى هذا السياج حتى يراك الشرطى فيقبض عليك . فان قلبى لا يطاوعنى على أن يخرج تيل من هذه المعركة صفر اليدين . ولهذا سأقدمك هدية له لأن وجهك لا يعجبنى ؟

ثم مد لوبين يده فانتزع من قميص الشاب الدبوس الماسى الثمين وهو يقول : هل تسمح بان تعيرنى هذا الدبوس ؟ فان لى صديقا يحب هذه الحلى !

وصعد لوبين الى السيارة وانطلق بها حتى بلغ منزله فى شارع آبوت

وكانت عيناه لازالتا دامعتين من اثر تلك العبرات التى سالت منهما حين تظاهر امام مستر تيل بانه يبكى تأثرا من الشتائم التى صبها عليه المفتش .

ولكنه الآن لم يكن يبكى وانما كان يضحك بملء فمـه مسرورا بهذه اللعبة التى لعبها على المفتش تيل فاستطاع ان يخدعه وان ينقذ الفتاة من بين براثنه .

لقد كان عملا جنونيا فى الواقع ولكن لوبين كان مولعـا دائما بالاعمال الجنونية .

واوقف لوبين السيارة امام باب البيت بالضبط . ولكن لو ان سواه هو بطل هذا الحادث لأوقفها على مسافة عشرين ميلا من بيته ولطمرها فى الرمال حتى يعدم كل اثر يمكن ان يدل على أن له علاقة بهذه السيارة .

ولكن لوبين كان مثالا للبساطة .. البساطة التى ترتفع الى مستوى العبقرية .

فقد كان يعرف انه اذا فرض وعرف البوليس ان هذه

هى السيارة التى وقع فيها الحادث فان شارع آبوت سيكون آخر مكان يخطر للبوليس أن يبحث فيه عن السائق . اذ ليس معقولا ان يترك السائق السيارة امام باب بيته بل المعقول ان يتركها بعيدة عن داره .

ولهذا السبب أوقف لوبين السيارة امام بيته حتى يصرف البوليس عن البحث عنه فى هذا المكان !

ونزل لوبين من السيارة وفتح بابها وقال مخاطبا الفتاة :
ـ تفضلى بالنزول .

وهبطت الفتـــاة وهى ترميه بنظرات حائرة فأشار الى البيت وقال :
ـ اننى أسكن هنا .. فى بعض الاحيان .

وبدت الدهشة على الفتاة حين عرفت ان هـذا السائق يسكن فى ذلك البيت الانيق الذى يقع فى حى المصـــورين والفنانين .

فابتسم لوبين وقال مازحا : لا تدهشى .. فحتى سائق السيارة قد يكون فنانا ! ولقد اعتدت ان ارسم صورا للفتيات العاريات بزيت السيارة « الوسخ » فان هذا يعتبر تجديدا فى الفن .

وصعد لوبين بالفتاة سلما ضيقا يسوده الظلام وقـد امسك بذراعيها ليرشدها الى الطريق فأحس انها كانت ترتعد ولم يدهشه ذلك .

وسمع صوت غناء حزين يصدر من داخل المسكن فضحك وفتح الباب فرأى هوبى بريجز جالسا على احد المقاعد وهو يغنى بصوته الأجش القبيح فقال له : ارى انك عثرت على زجاجة الوسكى !

فنهض مستر بريجز واقفا وهو يحـــاول ان يتظاهر بالثبات وقال :
ـ طبعا ، وجدتها ، والا لفررت هاربا من البيت ! فقـد

ـ هل من عادتك ان تقتل الناس .. ؟
وكان السؤال ساذجا لدرجة كادت تجعله ينفجر ضاحكا ولكنه حبس الضحكة التى كادت تنطلق من فمه واخذ من سيجارته نفسين أو ثلاثة . ثم قال وفى عينيه نظرات تدل على المزاح :

ـ نعم .. ان من عادتى ان اقتل .. وانى أقتل بمنتهى القسوة والفظاعة .. فهل عندك عدو تريدين ان تزيحيه من الطريق .. ؟ ان هوبى بريجز يستطيع أن يؤدى هذه المهمة بالنيابة عنى اذا شغلنى امر عن القيام بها بنفسى .

ـ ولكن لماذا تقتل الناس ؟

فقال لوبين متظاهرا بأنه يتكلم جديا : فى أغلب الاحيان اقتل الناس لاتسلى بمرأى الدماء .. ان للدم منظرا جميلا جذابا .. كأنه احمرار شفتين جميلتين .

ولم تدر الفتاة اذا كان لوبين يتكلم هازلا او جادا فجعلت تتفرس فى وجهه وهى تدخن سيجارتها فى حركات سريعة متتابعة ويدها ترتعد .

ثم قالت اخيرا :

ـ يا الهى لماذا يقدم الانسان على الجرائم مادام كريم الاصل ؟ فابتسم لوبين وقال :

ـ شكرا لك .. انك فتاة لطيفة .

ثم اردف يقول : والآن اسمعى .. يجب ان تحكمى عقلك .. لقد اردت أن انقذك من المفتش تيل . فلو اننى كنت رجلا شريرا كما يزعمون لانقضضت على المفتش وقتلته شر قتلة .. ولكننى لم الجأ الى العنف .. لان استعمال العنف ليس من شيمتى .. اننى اعلم بان هناك اشاعات تتناثر فى بعض الاحيان باننى ارتكبت جريمة قتل .. ولكن لوبين ياصديقتى .. ليس من هذا الطراز .. اننى فى حياتى ما سفكت دما .. ولن أسفك دما .. وهذه الجرائم التى يظن البعض اننى صاحبها انما

عزيت الى كذبا . فان من عادة البوليس متى وجد نفسه ازاء جريمة غامضة ان يتخلص من الحرج ويستر موقفه بان يشيع ان ارسين لوبين هو القاتل حتى يتقى حملات الصحف اذا لم يقبض على القاتل . لأن الدنيا باسرها تعلم ان القبض على لوبين ليس من الامور الممكنة .. ولو اننى كنت انا القاتل حقا لما كان اسهل على المفتش تيل من ان يلقى القبض على . ونحن نلتقى فى أغلب الايام .

وضحك لوبين ثم قال : انظرى الى عينى .. واخبرينى . هل هما عينا قاتل سفاك .. ؟

فهزت الفتاة راسها وابتسمت فى وجهه وقالت :

ـ كلا ، بل ان لك عينين لطيفتين .

ـ شكرا لك ، فليطمئن بالك اذن ، فانى اريد منك ان تقصى على كل شيء ، ما الذى حدث ؟

ـ واطفأت الفتاة سيجارتها وفركتها فى المنفضة وبان الياس على وجهها ورفعت يدها فى حركة قانطة وقالت :

ـ لا أعرف .

ولبث لوبين صامتا وهو ينظر اليها مترقبا منها ان تتمالك جأشها فتتكلم .

واخيرا قالت : ان لى اخا لا يعاشر الا اخوان السوء ، ولكنه فى الواقع ليس شرير الطبع ، ولست ادرى ما الذى دهاه ، فانه لم يكن فى حاجة الى ان يتنكب طريق الاستقامة ، ولقد اظهر فى طفولته نبوغا فى فن الرسم فلما اشرف على العشرين التحق بمدرسة الفنون الجميلة وكان اساتذته راضين عنه تمام الرضاء ، بل كانوا يصفونه بالنبوغ ولكن عيبه الوحيد انه كان يدمن الخمر ، فاذا ثمل ساء خلقه وتغيرت طباعه ؛ ولكننا كنا نرجو ان ينصلح حاله اذا ما تقدم به العمر ، غير ان رفقاء السوء كانوا يزينون له هذه الحياة ؛ اننى اكبر منه سنا بعام ونصف ، وانى اكره أغلب اصدقائه ، ومنهم مثلا هذا الرجل الذى قبض عليه معى .

- وما اسمه ؟

- جار فنج ، كينيث جارفنج ، ويظهر انه اعتاد ان يثني على جيم وان يغرر به وان يدفعه رويدا الى حياة الجريمة . انني أمقت هذا الرجل . لقد حاول ان يتقرب الى .. لكنني صددته ، غير انه استطاع ان يظفر بثقة جيم وان يصبح اعز اصدقائه .

وسكتت الفتاة برهة ثم استرسلت قائلة : وحدث بعد ذلك ان قبض البوليس على اخي بتهمة تزوير الاوراق المالية وظهر لي ان جارفنج كان على علم بكل شيء ، بل كان هوزعيم العصابة التي يتولى أخي تزوير الاوراق لحسابها ، ولكن البوليس لم يوفق الى اكتشاف الزعيم واعوانه .

واقبل هوبي بريجز في هذه اللحظة يحمل اقداح القهوة فلم تعره آنيت فيكري أي التفات وانما استطردت تقول :

- وحكم على جيم طبعا بالسجن . ولكن المحكمة استعملت معه الرأفة فحكمت عليه بسنة ونصف فقط اعتقادا منها بانه لصغر سنه لابد ان يكون ضحية بريئة لقوم فاسدين حرضوه على التزوير ، واني اعتقد انه لو رضي ان يذكر اسماء شركائه لعفت عنه المحكمة . فان البوليس انما كان يسعى في الواقع الى اقتناص جارفنج نفسه . ولكن جيم رفض ان يبوح بما يعرف وهددني بان يخاصمني طول العمر اذا انا تكلمت . فاضطررت انا أيضا أن الزم الصمت .. وهكذا زج المسكين في السجن .

- ومتى كان ذلك ؟

- لقد افرجوا عنه منذ ثلاثة اسابيع قبل انتهاء المدة المحكوم بها عليه نظرا لانه كان حسن السير والسلوك مدة سجنه . وكنت انا الوحيدة التي اعرف موعد اطلاق سراحه ، وقد حاول جارفنج ان يعرف مني هذا الموعد ولكنني ابيت ان اذكر له شيئا ، اذ كنت انوي ان احول دونه والاتصال بجيم

مرة اخرى ، واستطاع جيم بعد خروجه من السجن ان يجد عملا كمصور في احد المصانع بمساعدة جمعية اعانة المساجين وكان اخي صادق العزم على أن ينهج في حياته الجديدة منهج الاستقامة والشرف ، وكنت اعرف انه لن يعود الى الاشتغال بتزوير الاوراق المالية ، ولكن هذا الجنيه الذي صرفته لي انت كان هو الذي اعطاه لي بالامس .

ونحى لوبين سيجارته عن فمه ورشف من قدح القهوة بضع رشفات ثم قال :

- ولكنني لم افهم بعد السبب الذي حملك على الدخول الى نادي برنار والوقوع في ايدي البوليس ؟

- وهذا مالم افهمه انا ايضا ، ولكنني سأسرد عليك الحوادث كلها كما وقعت ، فقد اتصل بي جارفنج تليفونيا في هذا المساء وطلب الي ان اقابله ، فاعتذرت اليه لانني كنت أمقت ان اراه ، ولكنه انبأني بانني اذا ابيت مقابلته ، وقع أخي في مأزق حرج ثم اخبرني انه سيكون في انتظاري في نادي برنار فلم يكن هناك مناص من ان اذهب الى لقائه .

- وما هو هذا المأزق الذي كان اخوك سيقع فيه ؟

- لا اعرف على وجه التأكيد . لاننا لم نكد نبدأ حديثنا حتى دهمنا البوليس وقبض علينا . ولكن جارفنج استهل حديثه معي بان قال : انه لايريد ان يتعرض لأخي بعد خروجه من السجن ولكن هناك شخصا آخر يريد ان يتصل به .. فلم أصدقه طبعا ولكنه اعطاني اسم هذا الشخص وعنوانه وطلب الي ان أنبيء جيم بان يذهب الى مقابلته . وأكد لي انه لامناص من ذهاب جيم والا اصابه خطر جسيم ان هو تخلف .

- وما اسم هذا الشخص ؟

ففتحت الفتاة حقيبتها واخرجت منها ورقة مطوية قدمتها الى لوبين وهي تقول : ان هذا الشخص وعنوانه مكتوبان في هذه الورقة .

ونظر لوبين فى الورقة والتمعت عيناه بوميض كانه لهيب من النار وقال متمتما : اهذا هو اسمه ؟

فأجابته الفتاة بقولها : نعم .. وانى لم اسمع به من قبل

وقال لوبين فى بساطة : اما أنا فقد سمعت به .

ولاحت على شفتيه ابتسامته المعهودة .. تلك الابتسامة التى هى مزيج من الجرأة وعدم الاكتراث والاعتداد بالنفس .

لقد ظن حين تم له انقاذ الفتاة ان هذه المغامرة قد انتهت ولكنه ادرك الآن انه واهم فى ظنه . فان انقاذ الفتاة لم يكن هو النهاية وانما كان مجرد بداية .

وعاد ينظر الى الورقة مرة اخرى . وكانت هذه الكلمات المكتوبة خليها هى :

« ايفار نوستين »

« بفيللا هوك بضاحية سان جورج »

وقال لوبين فى صوت خافت كانما يخاطب نفسه :

ــ هذا عجيب ! ليت شعرى لماذا يريد رجل من اغنى رجال اوربا ان يقابل اخاك جيم ! ؟

ثم رفع صوته وقال يخاطب الفتاة :

ــ يجب ان يذهب اخوك الى هذا الموعد لنكتشف السر

وبدت دلائل الخوف فى عينى الفتاة وقالت :

ولكننى اخشى ان ...

فقاطعها لوبين بقوله وهو يهز راسه : لا تخشى شيئا

ثم أومأ باصابعه الى هوبى بريجز وقال : هذا هو اخوك سينتحل هوبى شخصية اخيك ويتقدم الى مستر ايفار نوستين مستعيرا اسم جيم فيكرى .. حقيقة ان سحنة هوبى لا تنم باى حال من الاحوال عن انه يمكن ان يكون فنانا ولكنه لن يتأخر عن تقديم كل ما فى وسعه من المساعدات .. ولذلك سأعيره اليك مجانا .

ثم نظر الى هوبى بريجز وقال له : فما رأيك فى هـذا يا هوبى ؟

وكان ظاهرا على وجه هوبى انه لم يفهم شيئا من هـذا الحديث وان الفكرة التى أشار اليها لوبين لم تدخل بعد الى دماغه . ولذلك لبث صامتا لا يجيب .

فعاد لوبين يقول له : ما رأيك ياهوبى ؟

فاختصر المسكين الطريق وقال مجيبا :

ــ رأيى ؟ ان رأيى هو رأيك يازعيمى !

الفصل الرابع

نهض ارسين لوبين واقفا وهو يقول : هيا بنا .

فقالت له الفتاة : الى اين .. ؟

ــ الى بيتى الثانى الذى يقع فى ضاحية سان جورج ..

وبعد ربع ساعة وقفت بهم السيارة امام ذلك البيت وكانت الانوار تنبعث من نوافذه واستقبلهم الخادم الاعرج باسما وهو يقول :

ــ لقد اعددت لك يا سيدى طعاما شهيا .

ولم يكن يبدو على الخادم ان قدوم سيده فى الساعة الرابعة صباحا قد ادهشه . فادركت الفتاة من هذا انه معتاد على ذلك .

ولم تستيقظ آنيت فيكرى من نومها الا فى ضحوة النهار فوجدت أشعة الشمس تفيض على المخدع .

وأدارت عينيها فيما حولها وأخذ بصرها من خلال النافذة الاشجار الطويلة الباسقة التى تملأ الحديقة .

وتنهدت آنيت فى ابتهاج وهى لا تصـدق انها نجت من ايدى البوليس وانها الآن آمنة مطمئنة فى ذلك البيت المنعزل الذى يبعد عن لندن عشرين ميلا على الاقل .

وكان اول وجه رأته فى ذلك الصباح هو وجه ذلك الخادم الاعرج اذ جاء ينقر على باب مخدعها حاملا اليها قدحا من اللبن الساخن .

ونظر اليها الخادم برهة . ولم تدر الفتاة اذا كان باسما

أو مكشرا عن انيابه لان له شاربا طويلا يختفى فمه وراءه ..
وقال الخادم :
ـ ان الحمام جاهز .. وسيكون الفطور معدا بعد نصف دقيقة .
ولكن آنيت لم تنزل الى قاعة الطعام الا بعد عشرين دقيقة فوجدت لوبين يحتسى فنجانا من القهوة وهو يطالع احدى الصحف . اما هوبى بريجز فكان منهمكا فى التهام قطع التوست .
وقدم اليها لوبين بيضة مسلوقة وهو يقول :
ـ ربما وجدت هذه البيضة جامدة أكثر مما ينبغى .
ولكن ماذا نعمل حيال هوراس « الخادم » وهو يحافظ على الوقت محافظة مزعجة . فاذا كان يقول ان الفطور سيكون معدا بعد نصف دقيقة فمعنى ذلك انه سيكون حقيقة معدا بعد ثلاثين ثانية لا تزيد ولا تنقص .. وقد خبأت لك قطعة من التوست اختطفتها من بين أنياب هوبى بريجز الذى اقسم ان يأتى على كل مافى العالم فى قطع التوست قبل ان يموت .
فضحكت الفتاة ضحكة رقيقة ناعمة واردف لوبين يقول :
ـ ولكن .. كيف نمت الليلة ..؟ ـ نوما هنيئا عميقا .
واقبلت على طعامها تلتهمه وقد ادهشها ان تكون هاربة من البوليس ومع ذلك تقبل على الطعام بهذا الشكل .
ثم حولت راسها الى النافذة ونظرت الى الخارج وهى تقول :
ـ ولكن اين انا الآن .. ؟
واردفت ذلك بضحكة لطيفة وقالت :
ـ نعم .. يجب ان انطق بهذه الجملة اذ المفروض أن هذا السؤال المأثور الذى ينبغى ان يردده الانسان عندما يستيقظ فى مثل هذه الظروف
وابتسم لوبين وقال ضاحكا :

ـ أو يمكنك ان تسالى عن « ماما » كما يفعل الاطفال !!
ووضع سيجارته بين شفتيه واشعلها وهو يقول :
ـ منزل اشتريته فى ضاحية سان جورج لآوى اليه عندما انشد العزلة .. كما ان له بالطبع منافع اخرى ليس اقلها شانا انه يخفينى عن عيون البوليس .
ومد اليها يده بالصحيفة التى كان يطالعها وهو يقول :
ـ هاك نبأ لطيفا يسرك ان تسمعى به ..
وكان النبأ الذى اشار اليه فقرة موجزة نشرتها الصحيفة فى ركن متواضع منها وذكرت فيها ان رجال سكتلنديارد دهموا نادى برنار فى شارع بونت وقبضوا على رجل وامراة وساقوهما الى مخفر البوليس للتحقيق .
وابتسم لوبين وقال : من المؤكد ان الدور الذى لعبته فى هذا الحادث لن تصل تفاصيله الى الجمهور . فاذا كان هناك شىء يحرص المفتش تيل على ان يبقيه فى طى الكتمان فهو هذه اللعبة التى قمت بها بالامس .. وهذا من حسن الحظ على اية حال ، حتى يتسع لنا الوقت لمقابلة ايفار نوستين قبل ان يتصل به نبأ ما حدث .
وقالت الفتاة : وما الذى اصاب جارفنج يا ترى ؟
ـ اغلب الظن انه الآن نزيل السجن .. فان من المستحيل ان يستطيع تحطيم القيد وهو مشدود به الى سياج الحديقة وسيعثر عليه حتما احد رجال البوليس فيدعونه الى النزول ضيفا على الحكومة .
ولما فرغت الفتاة من تناول الفطور ناولها لوبين سيجارة وهو يقول :
ـ استعدى يافتاتى فسنبدأ فى « العمل » بعد قليل ..
وكانت الفتاة فى حاجة حقا الى الاستعداد والثبات لانها كانت تخشى ان تغادر البيت خوفا من ان يراها رجال البوليس فيعرفونها ويقبضون عليها .

وفهم لوبين ما يجول فى خاطرها فنظر اليها وقال :
ـ كونى مطمئنة .. فلن ينالك اذى مادمت فى حمايتى .
واشرق وجه الفتاة ورفعت راسها وقالت فى اطمئنان :
ـ اننى اعرف ذلك .. ولكن ما هى مهمتى ؟
ـ انها مهمة هينة .. فكل ما اريده منك هو ان تذهبى الى فيللا هوك وتقدمى هوبى الى مستر نوستين على اعتبار انه اخوك .. وانى اعتقد ان مستر نوستين لن يطلب منك البقاء لانه بطبيعة الحال يريد ان ينفرد باخيك وستجديننى فى انتظارك عند منعطف الطريق .

ثم ابتسم لوبين واردف يقول : اما هوبى بريجز فستكون مهمته ان يموت هناك .. الا اذا استطاع ان يخرج مسدسه بسرعة البرق ليدافع عن نفسه .

والتفتت الفتاة الى هوبى ورأت يده تتحرك بسرعة البرق فتدخل الى جيبه وتخرج فى غمضة عين وفيها مسدس رهيب .. وقال هوبى متسائلا : هل ابطأت .. ؟ هل ابطأت .. ؟

فاجابته الفتاة بقولها : كلا .. انى اشهد لك بالسرعة الخارقة .

فهز هوبى رأسه فى زهو وفخار وقال : وياليتك رأيتنى وانا أطلق النار .. ان الرصاص ينهال من مسدسى كانه المطر المنهمر ! انى اعرف كيف اصيب الهدف .. ان فى امكانى ان أصيب برصاص مسدسى فنجان القهوة الذى فى يدك فأشطره نصفين دون ان ينالك اى اذى .. انظرى ..

واسرع لوبين فأخذ الفنجان من الفتاة ووضعه على المائدة وهو يقول : نعم .. نعم .. انها تعرف انك تستطيع ان تفعل ذلك .. ولكن اعفنا بالله عليك من اجراء هذه التجربة وضع هذا المسدس فى جيبك واصغ الى .

ونفث لوبين دخان سيجارته ثم قال : اسمع .. انك تدعى جيم فيكرى فهل فهمت ذلك ؟
ـ طبعا جيم فيكرى .. هذا هو اسمى

ـ وانت مصور .. فصاح مستر بريجز معترضا :
ـ ماذا تقول .. انا مصور .. انك تعرف يازعيمى اننى لا اعرف شيئا فى التصوير .

فقال لوبين وقد كاد صبره ان ينفد : اطمئن ، فلن يطالبك احد بان ترسم .. وكل ماهنالك ان هذه هى مهنتك .. وقد نشأت فى أمريكا وهذا هو السبب فى تلك اللكنة الامريكية القبيحة .. ولكنك بالطبع انجليزى الجنسية ومنذ خمسة عشر شهرا كنت ..

فقال هوبى بريجز مقاطعا فى توسل وضراعة : ولكن .. ماذا تريد منى يازعيمى ان اكون مصورا .. اننى امقت هذه المهنة .. الا تسمح لى بان اقول الحقيقة واننى من كبار المهربين واننى بطل فى السطو المسلح وسرعة اطلاق النار .

فتنهد لوبين فى غيظ وقال : اسمع وافهم ما اقول .. انك مصور ويجب ان تكون مصورا .. فليس فى هذه الرواية تهريب او مهربون ، ومنذ خمسة عشر شهرا قبض عليك بتهمة التزوير لانك ..

فقال بريجز مقاطعا : بتهمة التزوير .. ! ولكنك تعلم يا زعيمى انى لا اعرف كيف ازور .

فتنهد لوبين مرة اخرى ونهض واقفا واخذ يتمشى فى ارجاء الغرفة فى خطوات سريعة تنم عن الغيظ ثم رمى سيجارته على الارض وفركها بيده وتحول الى هوبى بريجز وقال له : تبالك ما اغباك .. ساكون انا جيم فيكرى !

فقال هوبى معترضا : ولكن هذا هو اسمى .

فاجابه لوبين فى خشونة : ساستعيره منك .. فانى اعلم انه اسم لايناسبك .

ثم التفت الى الفتاة وقال : كنت انوى ان اجعل هوبى ينتحل هذا الاسم اعتقادا منى بان الدور المهم سيجرى خارج البيت لافى داخله . ولهذا أردت ان اظل انا فى الخارج حتى أفعل ما يتراءى لى .. ولكننى أدركت الآن ان هوبى لا يصلح

للقيام بهذه المهمة ولذلك سأذهب بنفسي والآن هيا بنا .

ولكنه قادها من غرفة المكتب وهو يقول : تعالى معى .. فانى اريد ان اريك شيئا قبل ان اخرج .

واتصل لوبين تليفونيا بلندن وتحدث الى صاحبته باتريشيا هولم وقال لها : هالو بات .. ! كيف حالك .. أرجو ان تكونى قد قضيت سهرة ممتعة .. نعم اننى الآن فى ضاحية سان جورج .. اصغى الى يا عزيزتى .. اذ ى اريد منك ان تحضرى حالا .. لقد اندمجت فى مغامرة جديدة ومعى الان فتاة فى ورطة حرجة ولكننى مضطر الى الخروج ولا يمكننى طبعا ان اتركها فى رعاية هوبى بريجز فانك لاتجهلين ان ذكاءه ليس مما يعتمد عليه .. كلا .. ليس هناك اى خطر .. ولكن من المحتمل ان يشرفنا وليام تيل بطلعته البهية بعد فترة وجيزة فهيا اسرعى بالحضور وستفضى اليك الفتاة بكل ما جرى .. الى اللقاء يا عزيزتى ..

ثم وضع السماعة مكانها والتفت الى الفتاة وقال :

ــ ستقابلين الآن باتريشيا هولم .. وهذا شرف عظيم لو تعلمين .. فاذا جاءت فقصى عليها تفاصيل ما حدث من البداية حتى هذه المرحلة . مرحلة انتحالى اسم اخيك .. فهل فهمت ؟ فاذا تراءى فى الافق اى خطر عرفت بات كيف تتصرف .

فأحنت الفتاة راسها وقالت : شكرا لك

ــ انى واثق من مقدرة بات والا لما تركتك فى حمايتها .. والآن تعالى اريك هذا المخبأ الخفى .

وذهب بها الى دولاب الكتب القائم فى ركن الغرفـــة . فتحرك الدولاب على محوره فانكشفت فى الجدار ثغرة خفية فقال لوبين :

ــ هذه الثغرة تفضى الى فراغ صغير بين جدارين . . وقد شيدته بنفسى .. ولكن الجدارين اصمان . فاذا نقر عليهما الانسان لم يكن لنقراته صوت اجوف رنان . وستجدين

فى هذا الفراغ مقعدا وبضع مجلات كما أنه حسن التهـــوية ولكن يحسن بك الا تدخنى وانت فيه .. أما الدولاب فيتحرك بهذه الطريقة .. افتحى هذا الدرج واجذبيه الى الخـــارج حتى نهايته ثم ارفعى الرف الثالث الى الاعلى . فعند ذلك يتحرك الدولاب وتنكشف الثغرة .

فلما اجرت الفتاة التجربات امامه قال لها : فيمكنك ان تلجاى الى هــذا المخبــأ اذا داهمك خطر مفــاجىء قبــل حضور بات .. وهناك شىء آخر اريده منك وهو ان تتصلى بى تليفونيا فى قصر نوستين بصفتى اخاك .. ولكن .. لا .. دعى بات هى التى تتصل بى على ان تزعم اثناء حديثها انها هى انت اذ من المحتمل ان يكون هناك من يسترق السمع بوصلة تليفونية خفية .

وكان مستر هوبى بريجز يرقب ما يجرى ويصغى الى كل هذا الحديث وهو لا يفقه شيئا لان ذهنه كان مشغولا بالتفكير فى مسالة عويصة . واخيرا سعل بريجز وقال : يازعيمى .. دعنى اسالك سؤالا .. لقد قلت لى منذ برهة ان لكنتى الامريكية قبيحة . فما هو الشىء القبيح فيها ؟

فقال لوبين يجيبه :

ــ كل شىء .. ان صوتك يذكرنى بصراخ البومة ..

ثم وضع يديه على كتفى الفتاة وقال :

ــ والآن .. هل أنت مستعدة ؟

ــ نعم .. ــ هيا بنا اذن ..

ولم يكن قصر مستر ايفار نوستين بعيدا عن هذا البيت اذ كان يقع فى نفس الضاحية فذهبا اليه سيرا على الاقـــدام فى طريق تحفه اشجار السرور . ولبثا طول الطريق صامتين يفكران فى هذه المغامرة الجديدة التى لا يدريان من اى نوع هى وان كانا موقنين من انها ستتكشف عن خطر جسيم .

والتفتت اليه الفتاة فجأة وقالت :

ـ ما الذى يدعوك الى ان تعرض نفسك الى كل هـذا الخطر ؟
فكان الجواب الذى سمعته منه ضحكة رنانة تدل على الاستخفاف والجراة . فلما عادت تلح عليه بالسؤال قال يجيبها :
ـ لقد سمعت طبعا انني خارج على القانون .. والخارجون عن القانون لا يحيون الا بالمغامرات .. وهذه المسألة بدأت تثير اهتمامي لانني اتوقع من ورائها مغامرة ممتعة .. حقيقة ليس لدى حتى الآن شيء صريح يمكن ان استند اليه ولكن يكفى ان أعرف ان رجلا من اصحاب الملايين كايفار نوستين يسعى الى مقابلة مزور خرج من السجن . يكفى ان اسمع ذلك حتى يثور فضولي .
ثم نظر لوبين فى عينى الفتاة وقال فى صوت رقيق :
ـ وفضلا عن هذا فاني اريد ان انقذك واعوض المفتش تيك عنك بشيء اكثر اهمية . فاذا انا اوقفته على سر خطير امكنه ان يتناسى انني انتزعتك من بين يديه ورضى بأن يكف عن مطاردتك والسعي الى القبض عليك .
فلم تقل الفتاة شيئا وانما تناولت يد ارسين لوبين فانحنت عليها وقبلتها اعترافا بجميله .
ولما شعر لوبين بدمعتها الساخنة تنحدر على يده رفع راسه وتصلب فكاه وجد فى السير دون أن يتكلم .
وبعد ربع ساعة كانا فى قصر مستر ايفار نوستين .
وقال لوبين للخادم : هل مستر نوستين موجود ؟
انبئه ان مس فيكرى ومستر فيكرى قد حضرا .
فقال الخادم فى لهجة تدل على انه من أصل أجنبى :
ـ تفضلا بالانتظار لحظة . ثم رجع اليهما بعد برهة وقال :
ـ ان مستر نوستين يعتذر من مقابلة مس فيكرى اليوم وقال: ولكنه يرجوك يامستر فيكرى أن تتفضل بمقابلته الآن .

فأحنى لوبين رأسه والتفت الى الفتاة وقال لها باسما :
ـ حسنا .. انصرفى انت يا اختاه . وشكرا لك على مرافقتك لى ..
وكانت طبيعة الموقف تقضى عليه بأن يقبلها بصفتها اختا له . ولهذا قبلها ..
وانصرفت الفتاة وسارت فى الطريق المحفوف بالاشجار وهى تشعر بوحشة موجعة تحز فى صميم قلبها .

الفصل الخامس

استقبل مستر نوستين الشاب مرحبا وقال له :
ـ اجلس يا مستر فيكرى .. انى سعيد بمقابلتك .. هل تريد سيجارا ؟
وجلس مستر نوستين الى مكتبه الفخم المصنوع من خشب الموجنو والقائم فى وسط غرفة غطيت جدرانها برفوف صفت عليها مجلدات لا اعداد لها حتى لكأنها مكتبة عامة تملكها احدى البلديات لا مكتبة خاصة فى بيت رجل من رجال المال .
وكانت عينا صاحب الدار تدلان على الصلابة وقوة العزيمة وكانت حركاته وايماءاته تنم عن السيطرة وحب التسلط . ولا عجب فى هـذا فانه رجل يلعب بالملايين من الجنيهات بينا لا يلمس الآخرون الا المئات .
ونظر نوستين الى جيم وقال :
ـ انك تبدو اكبر سنا مما سمعت .
فهز لوبين كتفيه فى استخفاف وقال :
ـ ان حياة السجون تقضى على الشباب .
فقال نوستين يسأله :
ـ وهل علمك السجن درسا جديدا ؟
فقال لوبين فى شيء من الحيطة : ماذا تقصد ؟
فابتسم نوستين ابتسامة أشبه بتكشيرة الحيوان المفترس وقال:

— منذ عام او عام ونصف خرجت أنت الى الحياة تر
منها مستقبلا باهرا وكان الناس جميعا يمتدحونك وشـ
عليك وكان من الممكن ان تواصل تدريبك وأن تصبح مصو
نابها وشهيرا .. ولكنك لم تنتظر وانما كرست مواهبـ
السامية لتزوير الاوراق المالية .. ومما لاشك فيه أنك ظـ
اذ ذاك ان هذه المهنة كفيلة بأن تأتيك بالثروة الضخمة فى و
اقصر مما لو مارست عملا شريفا مشروعا .. ولكنك ما لـ
ان ادركت خطاك بالطبع فقد قبض عليك وزججت فى السجـ

وارتسمت على شفتى مستر نوستين للمـــرة الثا
ابتسامته الكريهة البغيضة وقال :

— وفى السجن اتسع لك الوقت بالطبع لأن تدرك
الارباح الضخمة لا تأتى الى الانسان بالسرعة التى يتوهمها
هذا هو الدرس الذى أردت ان اسالك اذا كنت قد تعلمتـ
فى السجن .

فهمس لوبين وقال :

— وهل من أجل هذا ارسلت الى .. ؟ هل استدعيتـ
لتنصحنى ..

فابتسم نوستين للمرة الثالثة وقال :

— يظهر اننى أصبت فى ظنونى يا مستر فيكرى وانك
تتعلم شيئا جديدا .

— وكيف ذلك .. ؟

— عندما قدموك الى المحاكمة اهتممت بأن اقرأ بعض
مانشرته عنك الصحف وانى اذكر ان البوليس قرر ان اغر
شىء فى المسألة براعتك فى تقليد الأوراق المالية على الرغم
صغر سنك . فلم يسبق أن رأى الخبراء ورقة مزيفة بمثـ
هذا الاتقان الذى يخدع حتى الصيارف .

وسكت مستر نوستين برهة ثم استطرد يقول :

— وقد رثيت لحـــالك فى ذلك الوقت واسفت على

تصبح مواهبك الفذة فى مثل هذا العمل . فلو انك وجـــدت شخصا يرشدك ويمكن الوثوق به لما عرضت نفسك للخطر .. نعم .. لو انك وجدت شخصا ذكيا يستطيع ان يروج الاوراق المزيفة بحكمة وبراعة لما كنت الآن فى هذا الموقف ولما قبض عليك .. ألست من رأيى ؟

فلم يجب ارسين لوبين على هذا السؤال الموجه اليـــه وانما لزم الصمت .

واستطرد نوستين يقول : لنفرض ان هذه الفرصـــة اتيحت لك مرة أخرى .. لنفرض انك وجدت شخصا يعهد اليك بتزوير الاوراق على أن يتولى هو تصريفها دون ان يعرضك لاى خطر وعلى شرط أن ينقدك أجرا طيبا . فهلا تعتقد ان هذه فرصة سانحة لا يصح أن تفلت منك .؟

وفهم لوبين الغرض الذى اســـتدعاه نوستين من اجله ولكنه لبث جامدا لاينم وجهه عن شىء مما يجول فى خاطره وقال مجيبا :

— اننى لم أفهم غرضك ..

فاتقدت نظرات نوستين بقوة العزم وقال :

— اذن .. سأحدثك دون لف أو دوران .. اننى اريدمنك يا فيكرى ان تشتغل لحسابى . قلد الاوراق التى اطلب منك تقليدها .. وسأمنحك أجرا عظيما .. سأجعلك أغنى مئات المرات مما كنت تحلم به .. فهل تقبل هذا الاقتراح الذى أعرضه عليك .. ؟

ولم يجب لوبين بالسلب او الايجاب وانما قال :

— ولكنها مسألة تنطوى على خطر جسيم .

فقال نوستين فى لهجة تدل على نفاذ الصبر :

— ألم أقل لك اننى سأحميك من الاخطار .. اسمع هل تريد مائة الف جنيه .. ؟

ولبث لوبين صامتا برهة طويلة ولكنه كان ينظر فى خلالها الى المالى الكبير وهو فاغر الفم وفى عينيه نظرات الدهشـــة

والاستغراب وعدم التصديق مقرونة بدلائل الجشع والشره..
محاولا بذلك ان يقلد جيم فيكرى الحقيقى لو انه سمع هذا المبلغ الضخم يعرض عليه .

واخيرا تكلم لوبين وقال : وماذا تريد مني أن أصنع ..؟

فابتسم المالى العظيم وقال : سأريك ما أريد منك ..

ونهض نوستين واقفا وفتح باب الغرفة وخرج الى البهو وفى رفقته ارسين لوبين واخذا يصعدان السلم الخشبى الفخم .

وكان لوبين يمشى خلف رجل المال وقلبه يخفق فى صدره بشدة فقد كانت المغامرة التى سيندمج فيها أجل واعظم مما كان يرجو ويتوقع . ولما بلغا رأس السلم ، سارا فى دهليز طويل مفروش بالسجاد النفيس وفتح نوستين فى نهايته بابا يفضى الى ردهة صغيرة فيها ثلاثة أبواب . ففتح الباب الايسر منها ودعا لوبين الى الدخول .

وكانت هذه الغرفة منسقة ذات نوافذ تطل على حديقة القصر وكان اثاثها هو الشىء الذى أدهش لوبين واثار انتباهه وان كان قد فهم على الفور الغرض من هذه المعدات فقد كانت الغرفة مجهزة بآلات كاملة للحفر والتصوير وعمل الكليشيهات . وفى ركن من الغرفة كانت هناك طاولة كبيرة صفت عليها زجاجات كثيرة ملأى بكل الالوان المعروفة من الحبر الذى يستعمل فى الطباعة . كما كانت هناك الفرش والمحاليل الكيميائية والمكابس الكهربائية وصناديق ملأى بكل ما فى العالم من نماذج الورق على اختلاف أنسجته واحجامه واشكاله .

وقال مستر نوستين يخاطبه :

ــ انى اعتقد انك ستجد هنا كل المواد التى تلزمك . ولكن اذا احتجت شيئا آخر جئتك به على الفور .

فقال لوبين وهو يرطب شفتيه بلسانه :

ــ وما هى الاوراق التى تريد منى أن أقدمها ؟

ففتح نوستين درجا فى الطاولة أخرج منه رزمة من الاوراق قدمها الى لوبين وهو يقول :

ــ أريد منك أن تقلد كل هذه الاوراق اذا استطعت .. سيكون تقليد بعضها طبعا أصعب من تقليد البعض الآخر فيحسن بك أن تبدأ بما كان سهلا منها .. ولست أسألك أن تتعجل فى العمل . فان التأنى يؤدى الى الاتقان .. أما الاجر الذى سأدفعه اليك فهو مائة الف جنيه كمرتب ثابت .. كما سانقدك خمسين ألف جنيه عن كل ورقة تقلدها باتقان .. فهل افهم من ذلك أننا قد اتفقنا ؟

فاحنى لوبين رأسه ايجابا .

وتناول رزمة الاوراق التى قدمها اليه نوستين وجعل يقلبها بين يديه فوجدها عبارة عن سندات حكومية خاصة بمختلف الدول . فهذه سندات ايطالية وهذه فرنسية وهذه ألمانية .. الخ . وقال لوبين :

ــ حسنا .. قد اتفقنا .. وسأشرع فى العمل يوم الاثنين القادم . فهز المالى رأسه وقال :

ــ ما دمنا قد اتفقنا فيجب أن تبدأ العمل فورا .. لقد اعددت لك كل وسائل الراحة حتى لا يكون هناك ما يدعوك الى مغادرة معملك .. فالى جوار المعمل غرفة اعددتها لنومك الحمام ملحق بها . واذا احتجت شيئا يزيد فى راحتك أتيتك به فى الحال . ــ ولكن .. أختى ؟

ــ يمكنك ان تكتب اليها أو أن تتصل بها بالتليفون حين تشاء وفى مخدعك وصلة تليفونية .. ومن المفهوم طبعا انك لن تخبرها بالعمل الذى تزاوله هنا .

ففكر لوبين برهة ثم قال :

ــ أول ما ينبغى أن أعمله هو ان أختار الورق المناسب الذى سأطبع عليه الكليشيهات .

فأومأ نوستين الى صناديق الورق المكومة فى ركن القاعة وقال :

— لقد اخترت لك الورق المناسب .. بل أن لديك هنا نفس الورق الاصلى الذى طبعت عليه السندات . كما أن لديك كثيرا من أنواع الحبر الاصلية التى استعملت فى الطبع .

ثم أردف ضاحكا :

— ولكن الشيء الوحيد الذى لم يمكننى الحصول عليه هو الكليشيهات طبعا .. ومن أجل هذا أرسلت اليك .. فهل انت على استعداد للبدء فى العمل .

وكانت فى صوته رنة غريبة وهو ينطق بجملته الاخيرة .. وفهم لوبين معنى هذه الرنة .. فهم انه لن يخرج حيا من هذا البيت سواء قبل أو رفض .

فقال مجيبا : نعم ، انى على استعداد .

فابتسم نوستين وقال : اصبت .. فهذا هو القرار الحكيم الذى كنت اتوقعه منك .. والآن سأنسحب وأتركك الى عملك .. واذا احتجت شيئا فاقرع الجرس الموجود الى جدار المدفأة .. ولكننى ادعوك الليلة الى تناول العشاء معى .

— شكرا لك ..

ولما خرج رب الدار رمى لوبين سيجارته فى الموقد واشعل سيجارة أخرى .

وأمضى نصف ساعة وهو يطوف فى ارجاء المعمل يفحص الآلات والاجهزة التى اعدت ليستعملها . ثم تناول رزمة من السندات التى كان مطالبا بأن يقلدها وجعل ينظر اليها وقد عقد حاجبيه مفكرا .

وكم من مرة هبطت فيها يده الى جيبه الخلفى ليطمئن الى وجود مسدسه . فقد كان فى نظرات نوستين ما دله على انه بدخوله هذا القصر قد القى بنفسه بين فكى الاسد .

وارتمى لوبين على احد المقاعد وقال فى نفسه :

— لماذا يريد نوستين أن يقلد هذه السندات .. ؟

كان نوستين من أكبر رجال المال فى أوربا .. حقيقة ان اسمه لم يكن يدوى كاسماء روكفلار أو مورجان أو روتشيلد

ولكنهم كانوا يلقبونه باسم «ملك الورق» . فقد بدأ نوستين حياته بانشاء مصنع صغير للورق فى بلاد السويد مالبث أن نما واتسع فصار من اكبر مصانع تلك البلاد وحالفه الحظ فاستطاع أن يساهم فى جميع مصانع الورق الموجودة فى السويد . ثم مالبث ان صار هو صاحبها .

وامتد نطاق أعماله الى البلدان الاخرى فأنشأ مصانع كبيرة فى المانيا وبلجيكا وفرنسا وسويسرا وهولندا . ومامرت بضعة أيام حتى صار نصف الورق الذى تستهلكه أوربا نتيجة مصانعه بل قيل أيضا انه يعد من اكبر المساهمين فى مصانع الورق الموجودة فى كندا والولايات المتحدة .

وفى كلمة قصيرة يمكن أن يقال بحق أن نوستين هو « ملك الورق » فى العالم .

وبحكم مركزه هذا استطاع ان يحصل بسهولة على الاوراق الاصلية التى تطبع عليها السندات التى تصدرها الحكومات المختلفة فان مصانعه هى التى انتجت هذه الاوراق بطبيعة الحال . فلم يكن أسهل عليه من ان يصنع سرا وفى غفلة من تلك الحكومات نماذج من الاوراق التى تطبع عليها السندات .

فاذاما استطاع تقليد هذه السندات أمكنه ان يروجها فى انحاء العالم وان يغرق بها الاسواق فيجنى من ذلك أضخم الارباح ولن تتطرق اليه الشبهة لانه بحكم كثرة معاملاته المالية يتداول كثيرا من السندات .

وعند الساعة الواحدة بعد الظهر جاء الخادم الى المعمل يحمل الى أرسين لوبين طعاما خفيفا باردا وقال له :

— ان مستر نوستين يسألك عما اذا كنت تريد أن تبعث رسالة الى أختك ؟

فقال لوبين مجيبا : آه .. طبعا .. انتظر لحظة من فضلك .

فقد كان المفروض أن يتصل بأخته المزعومة بطريقة ما

وخط بضع كلمات على ورقة أودعها مظروفا صغيرا كتب عليه اسم مس آنيت فيكرى . ولكنه بطبيعة الحال لم يكتب على المظروف عنوان بيتها وانما كتب عنوانا خياليا اختاره كيفما اتفق .

ولم يكتب لوبين فى رسالته الا كلمات لا أهمية لها لأن الرسالة لن تصل طبعا الى آنيت بسبب العنوان الخيالى فضلا عن انه كان يعلم أن نوستين سيفض غلاف الخطاب قبل ارساله ليطلع على ما فيه .

وبعد أن فرغ لوبين من تناول طعامه رأى أنه لابد أن يتظاهر بأنه شرع فى العمل فعلا . فجلس الى طاولة الرسم وغمس احدى الفرش فى زجاجات الحبر وأجرى الفرشاة على الورقة ثم أجرى فرشاة أخرى بعد ان غمسها فى حبر يختلف لونه عن الحبر الاول .

وكانت هذه الخطوط الملونة هى كل ما يتقنه ارسين لوبين من فن تقليد السندات والاوراق المالية .. !

وكان يعلم طبعا أن هذا لا يكفى وانه مطالب بأكثر من ذلك .. ولكنه كان يعلم أيضا بأن هذه البداية الصغيرة تكفيه اليوم . أما المستقبل فأمره بيد الله .

وبعد ثلاث ساعات جاءه الخادم بالشاى . فصب لوبين لنفسه قدحا وحمله الى النافذة ووقف هناك يحتسيه وهو يرسل بصره الى الخارج .

وذكر حينئذ هذا الحادث الذى وقع له فى تلك الليلة مع المفتش تيل حين انقذ الفتاة منه اذ انتهز فرصة نزوله من السيارة عندما تظاهر بالبكاء وانطلق بها هاربا .

لقد كان لوبين حريصا على أن يطفىء المصباح الخلفى للسيارة فكان من المستحيل ان يتمكن السير جنت درهام أو المفتش تيل من قراءة رقمها .

ولم يفطن تيل طبعا الى ان هذا السائق هو ارسين لوبين .

ولكن من المؤكد أنه سيصل الى هذه النتيجة حتما . فقد رآه تيل وتحدث اليه قبل دخوله الى نادى برنار . وليس تيل من الغباوة بحيث لا يهتدى الى الحلقة المفقودة واكتشاف العلاقة بين وجود لوبين فى المكان وبين هذه الحوادث الشاذة التى وقعت على الاثر والتى لا يمكن أن يتفتق عنها الا ذهن كذهن لوبين .

واسف لوبين لذلك وادركه الخوف على آنيت فيكرى خشية أن يهتدى المفتش تيل الى مخبئها . ولكنه اطمأن حين ذكر انه ترك الفتاة فى رعاية باتريشيا هولم .. وبات خير من يصلح لمواجهة الموقف أثناء غيبته .

وكان الجو حارا فى المعمل فخطر للوبين ان يخرج الى الحديقة ليستنشق الهواء فترة ثم يعود . وتوقع أن ايفار نوستين لن يعترض على ذلك فخرج من معمله الى الردهة الخارجية ووضع يده على مقبض الباب وأداره ولكن الباب لم ينفتح فقد كان موصدا بالمفتاح من الخارج . !

وللمرة الاولى عرف لوبين أن ايفار نوستين رجل عظيم لا يغفل عن شىء .

الفصل السادس

رجع لوبين الى مقعده وهو يبتسم وقال فى نفسه :

ـ اذن فقد احكم نوستين اغلاق المصيدة .

لقد ظن لوبين فى أول الامر أن نوستين لن يدعه يغادر القصر اذا رفض الاتفاق أو أرجأ الشروع فى العمل خشية أن يشى به الى البوليس .

ولكنه عرف الآن أنه كان مخطئا فى هذا الظن . فقد كان نوستين ينوى فى الواقع أن لا يجعله يخرج من القصر حتى يفرغ من اداء المهمة المطلوبة منه وأكبر الظن أنه بمجرد حصوله على الكليشيهات المطلوبة سيتخلص من لوبين (أى من مستر فيكرى كما يعتقد) بقتله .

وأشعل لوبين سيجارة أخرى ومشى ثانية الى النافذة ..

وكانت المصاريع الخشبية موارية قليلا حتى تسمح للضوء بالدخول ولكنها لم تكن لتتسع لجسم لوبين لو انه شاء أن يهرب من النافذة .

ومد لوبين يده وفتح المصراع الخشبى الى نهايته . ثم اطل من النافذة ونظر الى الحديقة ولمح رجلا بوجهه التحاء من أثر جرح كبير واقفا عند منعطف الطريق . فلما اطل لوبين رفع الرجل اليه بصره ثم مشى مسرعا الى باب القصر .

فادرك لوبين على الفور أن هذا الرجل جاسوس أقامه نوستين فى ذلك المكان لكى يطمئن الى عدم فرار لوبين بواسطة النافذة .

وان هى الا لحظات حتى فتح باب المعمل وظهر الخادم على عتبته وهو يقول : هل تريد شيئا يا مستر فيكرى ؟

فابتسم لوبين وقال :

ــ وكيف عرفت اننى قد اكون فى حاجة الى شىء مع اننى لم أدق الجرس . ؟

ــ لقد خيل الى اننى سمعت حركة ما . .

فأحنى لوبين رأسه وقال : هذا صحيح . فقد اردت ان افتح الباب فوجدته موصدا بالمفتاح من الخارج .

فأجاب الخادم دون أن تدل ملامحه على شىء :

ــ ان مستر نوستين هو الذى أمرنى باغلاقه حتى لا يتمكن احد من الخدم سواى من دخول هذه الغرفة فهل تريد شيئا يا سيدى ؟

ــ لقد فرغت سجائرى واريد علبة أخرى .

ولما انصرف الخادم فحص لوبين النافذة فوجدها مزودة بأسلاك كهربائية دقيقة لاشك أنها تنتهى بجرس فى غرفة الخادم فاذا حاول لوبين أن يفتح المصراع الخشبى دقت الاجراس منذرة بالخطر .

وابتسم لوبين . وللمرة الثانية قال فى نفسه :

ــ حقا . . ان نوستين رجل عظيم لا يغفل عن شىء !

وفى الساعة السادسة مساء حمل اليه الخادم بذلة جديدة

السهرة فارتداها لوبين ووجدها منسجمة عليه .

وفى الساعة السابعة رجع اليه الخادم ثانية ودعاه الى النزول ليتناول العشاء مع رب القصر .

وكان مستر نوستين قد سبقه فعلا الى قاعة المائدة . فلما رآه مقبلا نهض واقفا وقال وعلى شفتيه ابتسامته المعروفة :

ــ يسرنى ان الخادم استطاع ان ينتقى لك بذلة تناسب مقاسك .

ولم يتكلم لوبين أثناء العشاء الا قليلا على عكس نوستين الذى أفاض فى الحديث بلباقة وبراعة .

واختتم نوستين حديثه بقوله : اننى من أنصار الرأى الذى يقول : ان البقاء للأصلح . . ان هناك من ينتقدون رجال الاعمال اذا هم لجأوا فى نضالهم الى طرق « حادة » غير مشروعة . . ومن رأيى أن لا محل لمثل هذا الانتقاد فان النضال المالى انما هو فى الواقع أشبه شىء بالحرب . وفى الحروب يجوز للانسان أن يستخدم أى سلاح يريد دون مراعاة للشعور الانسانى .

وكانت هذه الكلمات فى الواقع خير ما يمكن أن يقال فى وصف نفسية نوستين . فهو رجل لا يتورع عن الالتجاء الى كل وسيلة ممكنة مهما كانت غير مشروعة ما دامت تحقق أغراضه ومطامعه .

ولما غادر لوبين قاعة المائدة شيعه الخادم حتى مخدعه بحجة انه يريد أن يستفسر منه عن الفطور الذى يجب أن يتناوله فى الصباح . وان كان الواقع انه صحبه ليكون رقيبا
الذه يقول :
عليه خشية أن لا يصعد الى غرفته

وخلع لوبين حذاءه وقميص السهرة . . ثم جلس على حافة الفراش يبتسم ويقول فى نفسه :

ــ ان نوستين يطعمنى ويقدم الى أفخر المأكولات كما

يفعلون بالخراف قبل ارسالها لتذبح .

ونهض لوبين واقفا واخذ يتمشى فى أرجاء الغرفة . ولأول مرة فطن الى أن ليس لأقدامه وقع وهو يسير حافيا . فلو انه استطاع ان يغادر الغرفة بطريقة ما لأمكنه أن يتجول فى انحاء القصر دون أن يشعر به أحد .

وتناول لوبين مسدسه ودسه فى جيبه . ثم جلس على الفراش بعد أن أطفأ النور .

ولما رأى بصيص الضوء الذى ينفذ الى غرفته من تحت عقب الباب قد اختفى ادرك أن أنوار القصر أطفئت . فانتظر نصف ساعة أخرى ثم شرع فى العمل .

ولم يستبعد لوبين أن يكون باب الردهة مجهزا أيضا بالاسلاك الكهربائية المتصلة بجرس الخطر كما هو شأن النوافذ

ودنا لوبين من الباب وركع على الأرض وأرهف أذنيه للسمع نحو ربع ساعة او اكثر . فلما أطمأن أخرج مصباحه الكهربائى من جيبه وجعل يرسل منه من لحظة لأخرى خيطا رفيعا من الضوء ينير له المكان .

وكانت المكتبة هى هدف لوبين الذى يسعى الى بلوغه فاذا كان هناك رجاء فى أن يعثر على أوراق او رسائل فان هذه الادلة لن تكون موجودة الآن فى غرفة المكتبة .

وبلغ لوبين رأس السلم الخشبى الذى يفضى الى بهو القصر فتريث هناك برهة يرهف أذنيه .

وشم رائحة خفيفة كريهة عجب لها ولكنه لم يستطع ان يفهم لها سببا فهز كتفيه فى غير مبالاة ثم اخذ يهبط الدرج فى حرص وحذر .

ولكنه لم يكد يفعل ذلك حتى سمع صوت «خربشة»

وكان الصوت غريبا يشبه الصوت الذى ينشأ عن احتكاك حذاء بنعله مسامير بأرضية من الخشب .

وانقطع الصوت فجأة ولوبين يصغى وقلبه يدق دقا عنيفا ورجع الصوت ثانية ثم مالبث أن انقطع .

ووقف لوبين مكانه جامدا لايتحرك ولم يجرؤ على ان يرسل الضوء من مصباحه الكهربائى حتى لا يدل العدو الخفى على مكانه .

ومرت لحظات وهو لايسمع صوت « الخربشة » فسرى عنه وظن انه قد يكون واهما . فعاد يهبط الدرج وهو يقول فى نفسه :

— ما أظننى مخدوعا .. ولكنه صوت فأر .. ومن العار ان يجبن لوبين أمام الفأر ..!

وبلغ أخيرا الى نهاية الدرج وهنا سمع مرة أخرى صوت « الخربشة » .. فدار على عقبيه على عجل وارسل الى مصدر الصوت شعاعا دقيقا من مصباحه .

ولكن هذا الشعاع الرفيع لم يكشف له كل شىء وكل ما استطاع ان يتبينه انما هو شبح اسود قابع فى أحد الاركان وعينان تتألقان فى الظلام وينبعث منهما شرر مخيف .

وادرك الخطر الذى يتهدده فدفع باب المكتبة ودخل مسرعا ولم يطمئن الا حين أغلق الباب خلفه .

وتنهد لوبين ولم يصدق انه نجا واخرج سيجارة من جيبه أشعلها واخذ منها نفسا طويلا من الدخان حتى تهدأ أعصابه .

ثم أخذ يستعد للبحث عن اوراق يفهم منها سر هذه المشروعات الخفية التى يقوم بها نوستين .

وكان لوبين رجلا خبيرا بطرق البحث وليست هذه أول تجربة من هذا النوع مرت به . ودار ببصره فى انحاء الغرفة ثم قال فى نفسه :

— ليس معقولا ان يخفى نوستين هذه الاوراق فى ادراج مكتبه والا كانت فى متناول أى خادم فضولى .. ولست أرى خزانة فى الغرفة يمكن ان يودعها فيها . فلاشك أن هناك مخبأ سريا . وهذا المخبأ اما ان يكون خزانة خفية فى تجويف الجدار أو قرارا فى ارضية القاعدة فلنبدأ بفحص الأرضية .

وازاح لوبين طرف السجادة النفيسة المفروشة على الارض فأخذت عينه تحتها باباً خفيا فرفعه بسهولة فانكشف عن صخرة كبيرة فى اعلاها حلقة من الحديد فأمسك بهـا وجذبها الى اعلى وبذل فى ذلك كل ما اوتي من قـوة حتى استطاع ان يرفع الحجر الذى يسد هذه الثغرة .

ونظر لوبين فى الثغرة فوجد الظلام يسودها ولكنه سمع صوتا يصدر من داخلها فتناول مصباحه الكهربائى وارسل اليها ضـوءه .

واستقر الشعاع على وجه هزيل هضيم لعينيه نظرات مذهولة .

وتأمل لوبين هذا الوجه برهة وعقد حاجبيه مفكرا اذ خيل اليه انه يعرف هذا الوجه وانه رآه من قبل . ولكن اين رآه ؟ اين رآه ؟

وعلى حين فجأة جمدت دماؤه فى عروقه حين عرف ان هذا الوجه انما هو وجه . ايفار نوستين .

الفصل السابع

لم يكن هذا الوجه فى الواقع هو وجه ايفار نوستين بالضبط ولكنه كان شديد الشبه به حتى يخيل لمن يراه لأول وهلة انه هو بعينه . فالانف اشد بروزا ولبشرة الوجه شحوب غير ظاهر فى وجه المالى وليس فى العينين ذلك التألق الذى ينبعث من عينى نوستين .. ولكن الوجه مع ذلك كان وجه نوستين بصفة عامة !!

ولما تغلب لوبين على دهشته قال اخيرا : من انت ايهـا المدفون ؟

فارتفع صوت الرجل أجش خشنا وقال : لقد اعتدت ذلك فلم يعد يهمنى شىء الآن .. ولن يمكنك مهما حاولت ان تزيد فى عذابى !

فعاد لوبين يكرر السؤال قائلا : ولكن من انت ؟

فكان جواب الرجل : انى انا .. هو انت ! لقد وضح لى

الامر الآن .. انا هو انت .. اى نوستين !!

واثارت هذه المفاجأة الجديدة اهتمام ارسين لوبين وود ان يقف على كل تفاصيلها فقال :

ــ اعـلم باننى جئت لأسـاعدك ايها الغبى .. فحدثنى بكل شىء .

فضحك الرجل ضحكة غريبة مفزعة رنت فى هذا الليل الساكن رنينا يزعج الاعصاب وصاح يقول :

ــ تساعدنى .. ! ها .. ها . ! هل جئت لتساعدنى كما ساعدتنى فى خلال العامين الماضيين .. أظنك جئت تساعدنى حتى لا اموت الا فى اللحظة المناسبة التى يكون موتى فيهـا محققا لاغراضك ! ها .. ها .. ها .. ها . !

واخذ الرجل يضحك ضحكات جنونية عصبية ، ثم كف بغتة عن الضحك واخذ يتكلم ولكن صوته كان خافتا اشبه بالهمس وقال :

ــ تساعدنى .. ! تساعدنى .. آ متى اموت .. متى تنوى ان تقتلنى .. ! لقد كرهت الحياة !

فقال لوبين : اصغ الى .. اننى ..

ولكنه كف بغتة عن اتمام جملته اذ سـمع مرة اخرى صوت « الخربشة » المعهودة . وكان الصوت آتيا من خارج الغـرفة بل كان عند الباب نفسه .. ووراء البـاب نفسه .. ورأى الباب يهتز قليلا كانما هناك من يدفعه ليهده هدا .

وعلى حين فجأة شقت سكون الليل صرخة داوية غريبة تجاوبت بها اصداء القصر .. صرخة حيوانية متوحشـة جعلت انفاس لوبين تحتبس فى صدره .

ورأى لوبين وجه الرجل المحبوس فى الكهف يمتقع امتقاعا شديدا . وبان الفزع فى عينيه وارتفع صوته فى ضراعة وتوسل :

ــ كلا .. كلا .. ليس الآن .. لا أريد ان اموت الآن .! لا أريد ان اموت .!

وانبعث لوبين واقفا وقال للرجل : سأراك فيما بعد ..

ثم سد الثغرة بالحجر واطبق عليها الباب السرى ثم بسط السجادة كما كانت ..

وايقن لوبين ان اهل البيت جميعا لابد أن يكونوا قد استيقظوا فان هذه الصرخة الداوية المفزعة كفيلة بأن تبعث حتى الاموات من قبورهم . وليس من الحكمة أن يجدوه فى غرفة المكتبة .

ومهما يكن هذا « الشىء » الرهيب الموجود فى البهو فان عليه أن يقابله دون تردد .

واخرج لوبين مسدسه ثم اطفأ نور القاعة ومشى الى الباب ففتحه وهو يعلم بان وراءه هذا «الشىء» الرهيب الذى تكفى صرخته لان تجمل الدماء جامدة فى العروق . ولكن لوبين استعان بكل مافى نفسه من الشجاعة ورباطة الجاش حتى يواجه الموقف باعصاب من فولاذ .

ولما فتح الباب سمع صوت «الخربشة» وملأت خياشيمه الرائحة الكريهة التى شمها للمرة الأولى وهو على رأس السلم .

واصطدمت قدمه بجسم طرى .

وللمرة الثانية دوت فى سكون الليل الصرخة المرعبة .

وشهر لوبين مسدسه ولكن قبل أن يتمكن من استعماله شعر بضربة شديدة أصابت ساعده كأنما جاءته من قضيب من الحديد . فطار المسدس من يده واستقر على الارض .

واحس انفاسا ساخنة ملتهبة تهب على وجهه فجمع قبضة يده وطوحها فى الهواء فلكمت شيئا طريا ومبللا .

ثم لم يشعر الا وقد سقط على الارض وهذا « الشىء » جاثم فوق صدره .

أما هذا «الشىء» فلم يكن الا فهدا مفترسا !

وكان من حسن حظ لوبين انه استطاع أن يصل الى عنق الفهد فاطبق بيديه عليها وجعل يضغطها بكل ما أوتى من قوة وفى الوقت نفسه ارتفع صوت يقول صارخا : شيبا ! شيبا !

وكان هذا النداء هو الذى انقذ لوبين . وسطع النور فجأة فى البهو وسمع لوبين وقع خطوات سريعة أعقبها صوت «كرباج» يفرقع فى الهواء فنهض الفهد عن صدر لوبين وتراجع الى الخلف وهو يزار بصوته المفزع .

واغتنم لوبين هذه الفرصة ووثب وثبة بهلوانية لم يثب مثلها فى حياته جعلته يبتعد عن الفهد بضعة أمتار .

وصاح نوستين فى غضب وهو يلوح بسوطه فى الهواء :

— شيبا .. ارجع .. ارجع . وجعل نوستين يتقدم على مهل نحو الحيوان الضارى والفهد يتراجع الى الوراء خطوة فخطوة وهو مازال مكشرا عن انيابه يتحين فرصة للهجوم .

وكان ظاهرا أن الفهد غير أليف وان صاحبه لم يحاول مطلقا أن يروضه وانما كان يسيطر عليه بشجاعته الوحشية وبسوطه الذى لايكف عن الفرقعة . وكأنما ساءت هذه الهزيمة الفهد فجعل يحاول أن يمسك السوط بانيابه ليمزقه تمزيقا ولكن الضربات التى كانت تصيب وجهه أرغمته على التقهقر حتى انتهى الى ركن البهو فقبع فيه ذليلا مغلوبا وعيناه ترميان بالشرر . والتفت نوستين الى أرسين وقال له :

— انك سعيد الحظ لأنك مازلت على قيد الحياة يامستر فيكرى .

فانحنى لوبين رأسه ومسح بمنديله الخدوش المنتشرة فى جبينه وقال فى بساطة : نعم انى سعيد الحظ . ولكن هل لديك فى القصر حيوانات أخرى مدللة من هذا النوع ؟

ولم يلتفت نوستين الى هذا المزاح وانما قال له فى لهجة حادة : ماذا كنت تعمل هنا .؟ وذكر لوبين عند هذا انه مازال فى نظر مستر نوستين يدعى جيم فيكرى .

وقال مجيبا : أردت كأسا من الخمر فلم أشأ أن أقرع الجرس لعلمى أن الخدم ناموا فنزلت بنفسى أبحث عما أريد ولكننى لم أكد أتوسط السلم حتى اخذ الفهد يطاردنى .

ورفع نوستين رأسه الى أعلى السلم حيث كان الخادم

واقفا وفى يده مسدس ضخم وقال له فى صوت جاف :
ــ روسنوف . ! هل نسيت ان تغلق باب الردهة .؟
فرطب الرجل شفتيه بلسانه قبل ان يجيبه بقوله : لقد اغلقته ياسيدى
فقال لوبين : ولكننى لم اجده مغلقا على اية حال . .
وتفرس نوستين فى وجه خادمه الروسى برهة ثم حول بصره الى لوبين فقابل هذا نظراته بعينين تدلان على الحيرة الصادقة وعدم الفهم . ثم سار نوستين فجأة الى المكتبة واضاء النور واشار الى لوبين بأن يتبعه .
ورأى المسدس ملقى على الارض فالتقطه وهو يقول : هذا مسدسك ؟
فقال لوبين مجيبا : نعم . . اننى . . اننى معتاد على ان احمله دائما . . وعندما رايت الفهد . . ولكن نوستين لم يدعه يتم جملته بل قال مقاطعا : حسنا . . حسنا . . اذهب الآن مع روسنوف حتى يضمد جراحك .
ولم يكد لوبين يغادر القاعة حتى اغلق نوستين الباب على نفسه .
ومشى لوبين خلف الخادم يدخن سيجارته وهو يذكر فى شيء من الاسف ان نوستين قد استبقى معه مسدسه فجرده بذلك من السلاح الوحيد الذى كان يتعمد عليه . . وذكر أيضا انه كان قد طلب الى آنيت ان تتصل به تليفونيا فى ذلك المساء واخذ يسأل نفسه عن السبب الذى منعها من الاتصال به . . وخطر له ان من المحتمل ان يكون المفتش هو السبب اذ لم يكن بعيدا على ذكاء تيل ان يعرف ان لوبين هو بطل حادث السيارة ومع ذلك فمن المحتمل أيضا أن آنيت اتصلت به وان نوستين هو الذى كتم عنه الامر . . نعم . . ان الفرضين محتملان . . فما هى الحقيقة ياترى . .؟
وقبل ان يبلغ لوبين اعلى السلم سمع فجأة صوتا يناديه قائلا : فيكرى !

فلما التفت رأى مستر نوستين واقفا عند باب المكتبة وهو يقول : انى أريد أن أتحدث اليك برهة اذا كان فى وسعك ان ترجىء تضميد جراحك . .
وقال لوبين باسما : طبعا . .
وأخذ يهبط الدرج ثانية . . ولما عبر البهو ودخل المكتبة وجد نوستين واقفا الى جوار مكتبه والفهد رابض عند قدميه
ورأى لوبين السجادة مطوية وقد انكشفت عن الباب السرى الموجود فى الارضية وكان المالى الكبير ممسكا بالمسدس فى يده .
وعرف لوبين الخطر المحدق به ولكن وجهه ظل جامدا لا ينم عن شيء
وتكلم نوستين فى صوت غريب النبرات قائلا :
ــ لقد اخبرتنى ان الفهد هاجمك وأنت على السلم فحاولت ان تدخل غرفة المكتبة فرارا منه . .
فأحنى لوبين رأسه وقال : هذا صحيح . .
ــ اذن كيف تعلل هذا .؟ وأومأ نوستين بسوطه الى الارض ونظر لوبين الى حيث اشار فوجد عقب سيجارته الى جوار الكهف السرى . . وذكر أنه حين سمع زئير الفهد أطفأ سيجارته والقاها على الأرض حيث كان جاثيا ولما بسط السجادة لم يلتفت الى العقب فبسطها فوقه .
فلما استراب نوستين فى الأمر ورفع السجادة رأى العقب تحتها فعرف على الفور أن لوبين (أى فيكرى) اهتدى الى الباب السرى . . ووجود عقب سيجارته الى جانبه تحت السجادة دليل على ذلك .
وهز لوبين رأسه فى حيرة وقال مجيبا : لا ادرى .!
وقال المالى وهو يحدجه بنظرة ثابتة : ان خدمى لايدخنون اما انا فادخن السيجار لا السجائر .
فقال لوبين مراوغا : ومع ذلك فلست انا الذى اسأل عن ذلك (م)

فقال نوستين فى صوت جاف : هل اسمك فيكرى ؟

ـ طبعـا . فتفرس فيه نوستين برهة ثم قال فى صوت هادىء : انك كاذب .. ولم يجب لوبين فقد عرف أن ليس ثمة من جواب يمكن أن ينقـذه . ولكنه فى الوقت نفسه لم يعترف بشىء وانما جعل ينظر الى نوستين متظاهر بالحيرة وعدم الفهم محاولا بذلك أن يقلد جيم فيكرى الحقيقى لو أنه وجد نفسه فى مثل هذا الموقف .. ولكنه كان موقنا فى الوقت ذاته أن هذا «التهويش» لن يجديه نفعا وان أمره قد انكشف

على أن الشىء الذى أدهشه انما هو ثبات نوسـتين وامتلاكه أعصـابه اذ لم ينم وجهــه عن ذرة من الخوف أو الغضب .

وصاح ايفار نوستين ينادى الرجل المحبوس فى الكهف بقوله : ايريك

وسمع لوبين على الأثر حركة خفيفة داخل الفجوة وبعد لحظات برزت منها رأس الرجل الذى يشبه نوستين . فقد كان هناك سلم منحوت فى الجدار اخذ الرجل يرتقيه فى ضعف واعيـاء .

ولما سلط الضوء على وجهه ازدادت دهشة لوبين حين راى أن ملامحه لا تختلف فى شىء عن ملامح ايفار .. ومابينهما من اختلاف انما يرجع فى الواقع الى هذه السنوات الطويلة التى امضاها المسكين فى سجنه لا يرى الضوء .. ولايستنشق الهواء النقى .

وذكر لوبين كلمات الرجل حين اطل عليه فى الفجوة وقوله « اننى انا هو أنت .. اننى انا أنت .. نوستين » .

وهز رأسه وقد فهم معنى هذه الكلمات .. معناها ان هذا الرجل ايريك انما هو شقيق ايفار نوستين .

ـ حسنـا .. فليكن .. اننى لست خائفا .. اننى لاأحب أن اجعلك ترانى خائفا . نعم . لقد ادركنى الخوف حين سمعت زئير الفهد والباب مفتوح .. أما الآن . فلم أعد خائفا . نعم

انى لست خائفا ايها الشيطان .

ونظر نوستين الى ارسين لوبين وقال له : ـ اذن .. فقد فتحت الباب !

فكان جواب لوبين : ـ نعم .. لقد فتحت الباب ..!

ثم التفت الى ايريك وقال له فى صوت رقيق :

ـ اننى انا الذى فتحت الباب وتحدثت اليك يا ايريك لقد اردت أن انقذك . ونظر ايريك الى لوبين وارتسمت فى عينيه دلائل الشكر .

ونهض نوستين واقفا ومشى الى الباب وخلفـه الفهـد ابغيض .

وأمسك ايفار نوستين بوسطه ثم صاح بغتة يخاطب فهده :

ـ شيبا ..! وحرك السوط فى الهواء ثم هوى بأطرافه على ظهر الحيوان وهو يصيح : ـ شيبا .. اهجم .. اهجـم ..! وهوى السوط مرة ثالثة . ثم رابعـة .. وكان صوت فرقعته يشبه دوى الطلقات النارية .

واتقدت عينا الفهد بلهيب من النار . ولم ينس لوبين طول حياته ماحدث بعد ذلك .. كان لوبين يعلم انه يواجه الموت حتما .. وان الفهد سيثب عليه وينشب مخالبه فى عنقه .. وكان ايريك المسكين واقفا الى جواره شـاحب الوجه متصلب الجسد وهو يرتعد رعبا وخوفا .. اما لوبين فكان ينتظر مصيره المحتوم رابط الجأش حاضر الذهن استعدادا لمواجهة الموقف وللنزول الى ميدان الحرب . فما كان ينوى مطلقا ان يجعل حياته تذهب رخيصة . وتلفت الفهـد حوله . وللمرة الخامسة هوى السوط على ظهره وارتفـع صوت نوستين يقول : ـ اهجم ..! اهجم ..! وانكمش شيئا فى نفسه .. ثم هجم ..! وكانت هجمة لاتنسى ..! ولكنه لم يهجم على ايريك .. ولم يهجم على لوبين .. وانما هجم على نوستين ..! ولم يكن الفهد اليفا .. وكان نوستين يسيطر ضربات تحز فى ظهره الما . وكان الفهد يخشى السـوط

ويرضخ لنوستين خوفا منه وان كان حاقدا عليه بسبب هذه الضربات التى ينالها منه . والآن وقد انهالت عليه ضربات السوط .. تغلب حقد الفهد على خوفه فلم يطع امر صاحبه وانما انقلب ضده لينتقم منه على ما أسلف اليه من الاذى والعدوان . وان هى الا لحظات حتى كان ايفار نوستين طريحا على الارض والوحش جاثم فوق صدره يمزق جسده تمزيقا .. !

الفصل الثامن

كان مستر هوبى بريجز جالسا تلوح على وجهه امارات التفكير العميق . فقد مرت به ساعات وهو يفكر فى مشكلة عويصة تشغله ولا يجد لها حلا يريح باله . والتفت فجاة الى باتريشيا هولم وقال لها :

ــ اخبرينى هل صوت البومة قبيح ام جميل ..؟

فقالت باتريشيا مجيبة : أن صوتها قبيح .

فهز هوبى رأسه وقال :

ــ اذن . لماذا قال الزعيم ان صوتى يذكره بصوت البومة !

فضحكت الفتاة وقالت محاولة أن تسرى عنه :

ــ لعله كان يقصد ان يقول ان صوتك يذكره بصوت البلبل ..!

واشعلت سيجارة ودنت من النافذة ووقفت تنظر من خلال الزجاج الى الطريق .

وكانت آنيت فيكرى تتأملها بعينين تشع منهما نظرة غريبة

كانت آنيت تعلم عن نفسها أنها جميلة .. ولكنها فى الوقت نفسه لم تكن تملك أن تنكر ان لهذه الفتاة الهيفاء ــ التى شاطرت لوبين مغامراته ــ جمالا خلابا لم تر له مثيلا من قبل

وحين حضرت باتريشيا الى البيت على اثر الحديث التليفونى الذى دار بينها وبين لوبين قالت للفتاة : انني باتريشيا

وكانت على شفتيها ابتسامة لطيفة جذابة .

وقصت الفتاة على باتريشيا حكايتها فقالت هذه :

ــ ليس غريبا أن يفعل لوبين ذلك .. بل الغريب أن لا يفعل .. هذه هى عادته دائما .. انه ينشد المغامرات ويسعى اليها .. ولا يمكن أن يتردد ولو عرض نفسه للخطر هل لك فى كأس من الشيرى ..؟

فضحكت آنيت وقالت : انك تتكلمين بأسلوب الرجال .!

فابتسمت باتريشيا وقالت : لاعجب اذا رأيتنى أتكلم بأسلوب ارسين لوبين .. فانني أومن به واتخذه مثلى الاعلى

والواقع أن باتريشيا كانت تؤمن بلوبين ايمانا اعمى .. واذا كان الخوف عليه يدركها فى بعض الاحيان فانها كانت تحاول دائما أن تنفى هذه الوساوس من نفسها وان ترد ايمانها المتزعزع الى ثباته ورسوخه .

واخيرا هبط الليل وجاء هوراس يعلن اليهم أن المائدة اعدت . فلما فرغوا من تناول العشاء قالت باتريشيا :

ــ اظن ان الوقت قد حان لكى نخاطب لوبين تليفونيا .

ثم مشت الى التليفون وطلبت الرقم وكانت الساعة اذ ذاك التاسعة مساء . فرد عليها رجل فقالت له :

ــ هل يمكننى ان اتكلم مع مستر فيكرى من فضلك ؟

ــ من أنت يا سيدتى ؟ ــ انى أخته .

ــ ارجوك أن تنتظرى لحظة ريثما أخبره .

وبعد برهة سمعت صوت الرجل يقول لها : ان مستر فيكرى مشغول الآن مع مستر نوستين فى حديث هام فهل تحبين أن تتركى له كلمة ؟

ــ حسنا .. سأطلبه مرة أخرى ..

وقال لها مستر بريجز : ماذا جرى ؟

ــ لم أتمكن من الاتصال به الآن ..

ثم اردفت تقول : ما رأيك فى ان نتسلى بلعب الورق ..

فقال هوبى بريجز : لقد لعبت الورق مرة فى أمريكا مع نفر من اصدقائى وانتهت اللعبة بان اخرجت مسدسى واطلقته على ثلاثة منهم ..

وأخذ هوبى بريجز يروى هذه الحكاية فكان فى حديثه ما خفف عن باتريشيا القلق الذى استولى عليها .

وفى الساعة الحادية عشرة مساء اتصلت باتريشيا مرة اخرى بفيللا هوك فكان الجواب الذى سمعته .. لقد نام مستر فيكرى ياسيدتى . واوصانى أن لا أوقظه لأى سبب كان لأنه متعب قليلا ولكنه كتب لك خطابا أودعته الآن فى صندوق البريد فسيصلك طبعا فى الصباح .

ووضعت باتريشيا السماعة وقد شاع الخوف فى نفسها . ثم التفتت الى من معها وقالت : ان حظنا سىء الليلة .. ولا مفر لنا من الانتظار الى الصباح حتى يصلنا الخطاب الذى كتبه لوبين . والان هيا بنا الى المضاجع ..

فنظرت اليها انيت وقالت فى اعجاب : انك فتاة شجاعة .!

اما هوبى بريجز فلم يقل شيئا لانه لم يكن يفهم خطورة الموقف ولم تكن لديه أية فكرة عن الخطر الذى قد يتعرض له لوبين .

وضحكت باتريشيا ضحكة قصيرة وقالت تخاطب آنيت :

ـ لو انك ياعزيزتى كنت تعرفين لوبين كما أعرفه لماأدركك القلق عليه . فهو يعرف كيف ينسل بسهولة من احرج المآزق انه لم يخلق الا ليزج بنفسه فى المغامرات .. ولقد همت باتريشيا بان تسترسل فى هذا الحديث لولا ان دق جرس الباب فجأة . فنظرت اليها آنيت وقد أشرق وجهها ولكن باتريشيا هزت رأسها فى أسى وقالت :

ـ ان لوبين لايدق الجرس .. وسمعوا وقع أقدام الخادم وهو ذاهب الى الباب ليستقبل الطارق ثم سمعوا صوت رجل يسأل عن لوبين والخادم ويجيبه بقوله : مستر لوبين غير موجود ـ اذن .. سننتظر عودته

فصاح هوراس : ـ انتظروا فى الخارج اذا شئتم نعم .. فى الخارج فاننى لن اسمح لكم بالدخول .!

وارتفعت على أثر ذلك أصوات صاخبة كانت هى الشىء

الوحيد الذى استطاع مستر هوبى بريجز ان يفهمه بعقله الضيق وتفكيره البطىء فانبعث واقفا وغابت يده فى جيبه ثم خرجت بسرعة البرق تحمل مسدسا . وهتفت به باتريشيا تقول : اغلق باب الغرفة . ثم جذبت آنيت من ذراعيها قائلة : هيا الى المخبأ ..

ودار الدولاب على محوره وانكشف عن الفجوة فاختفت فيها آنيت ثم رجع الدولاب الى موضعه الاصلى .

والتفتت باتريشيا الى هوبى بريجز وقالت له :

ـ والآن .. افتح الباب .. وخبىء مسدسك فى جيبك ايها الأبله فانه كفيل بأن يزيد المسألة سوءا ..

فقال هوبى معترضا : ولكن ..

فقاطعته باتريشيا فى صوت خافت : دعك من «ولكن» ضع المسدس فى جيبك ودعنى أتكفل بالامر .

فأطاعها بريجز وفتحت باتريشيا الباب وخرجت الى الردهة فوجدت هوراس مشتبكا فى نضال مع احد رجال البوليس السرى بينما كان المفتش تيل يصيح متوعدا :

ـ لابد أن أرسلك الى السجن .. وقالت باتريشيا بصوتها الرقيق : طاب مساؤك .

فقال هوراس : انتظرى يا آنسة لحظة حتى اطرد هذين الفضوليين . فابتسمت باتريشيا وقالت متهكمة :

ـ بل دعهما فان المفتش تيل من اعز اصدقائى .! وتنحى هوراس عن الباب فالتقط تيل قبعته التى كانت قد سقطت على الارض أثناء المعركة ثم تقدم الى الداخل وهو يرمى هوراس بنظرات يطير منها الشرر . وقال مستر تيل يخاطب مس هولم : ان لدى امرا بالتفتيش .. فابتسمت وقالت :

ـ امر ثان بالتفتيش .! يظهر أن السماء لا تمطر فى هذه الايام الا أوامر التفتيش ..! ولكن خبرنى .. عن اى شىء تريد اليوم أن تفتش ..؟ ثم مشت الى غرفة المكتبة وتبعها تيل ومساعده . ولما وقعت انظار المفتش تيل

على مستر هوبى بريجز ذكر انه رأى هذا الوجه من قبل . فقد كان لقاؤهما الاول يوم جاء تيل الى مسكن ارسين لوبين ليبحث عن الكتاب السرى .

وتفرس تيل فى وجه هوبى ثم قال له :

ـ اننى اذكر انى رأيتك من قبل ، فمن انت .؟

فكان جواب هوبى : اننى جيم فيكرى .

وقد نطق هوبى بهـــذه الجملة فى ثقة واعتزاز بالنفس اعتقادا منه بانه يخدم بذلك ارسين لوبين .. الم يقل له الزعيم أن اسمه قد أصبح منذ الآن جيم فيكرى ؟

وصاح المفتش يقول : ماذا تقول ؟ جيم فيكرى ؟ اذن فأنت المزور وكانت نبرات المفتش تدل على الحنق مما ادهش بريجز .. اليس هذا هو الاسم الذى اختاره له الزعيم؟ فلماذا يغضب تيل اذن اذا ذكر له ان هذا هو اسمه ؟

وأراد بريجز أن يجد جوابا لهذا السؤال فشعر بأن رأسه كادت تدور لانه لم يكن ليقوى على التفكير

ولكنه أجاب قائلا : اننى لست مزورا . اننى مهرب !!

فهتف المفتش يقول ماذا .؟

ـ مهرب .. أقصد أن أقول اننى مصـــور .! ولكنتى الامريكية قبيحة تشبه صوت البومة .

واستولى الغيظ على تيل .. فاذا كان تيل قد صبر على سخرية ارسين لوبين فانه لا يمكن ان يصبر طبعا على سخرية هذا الحيوان الأبله

وهم تيل بان ينطلق صاخبا لاعنا ولكن فكرة نيرة طرأت على ذهنه فكظم غيظه وقال فى صوت حاول أن يجعله هادئا :

ـ اذن فأنت تدعى جيم فيكرى ؟ فأحنى هوبى بريجز رأسه مؤمنا . فباغته تيل بقوله : اذا كنت أنت جيم فيكرى . فكيف حاولت مس هولم منذ ربع ساعة ان تتصل بك تليفونيا فى الخارج مع انك موجود معها فى البيت .

وفتح مستر هوبى بريجز فمه ليتكلم ولكن لم يسعفه عقله

الراكد بكلمة واحدة جوابا على هذا السؤال . فاسرع الى زجاجة الويسكى وتناولها وجعل يصب فى فمه جرعات منها .

وتكلمت باتريشيا بالنيابة عنه قائلة : هذا خطأ بلا شك . اذ من الواضح أن مستر فيكرى لم يكن نائما لأنه حضر عقب الحديث التليفونى بدقيقة او دقيقتين .

فقال مستر هوبى بريجز مؤمنا على عادته : هذا صحيح لقد حضرت عقب الحديث التليفونى بدقيقة أو دقيقتين !

فتفرس فيه مستر تيل وقال : ولكننى فى الوقت الذى كنت فيه داخل العمارة أتجسس على المحادثات التليفونية . كنت قد تركت شرطيا عند الباب . فكيف لم يرك عند دخولك ؟

وهنا يسجل التاريخ لمستر هوبى بريجز انه استطاع أن يجد جوابا لسؤال عويص لأول مرة فى حياته اذ قال مجيبا على الفور :

ـ لقد دخلت من الباب الخلفى ..!

فقال المفتش تيل فى هدوء : وكيف لم يرك الشرطى الآخر ..؟!

وحملق مستر هوبى بريجز مصعوقا ثم تهالك على أقرب مقعد اليه ولاح على وجهه انه يكدح ذهنه مفكرا .

فضحك المفتش وقال موجها الحديث الى باتريشيا : وانه ليسرنى طبعا أن ألقى نظرة على جيم فيكرى الثالث المستغرق فى النوم فى فيلا هوك .. ومادام ارسين لوبين غير موجود هنا الآن . فانى استطيع أن اخمن انه هو جيم فيكرى الثالث .

فقالت باتريشيا هو لم فى غير مبالاة : خمن كما تشاء ..

فقال المفتش فى خشونة : انى لن اكتفى بالتخمين وانما سأفعل ما هو أكثر من ذلك .. سأتأكد من الأمر بنفسى ..؟

ثم دار على عقبيه ومشى الى الباب وخلفه مساعده .

وتبعتهما باتريشيا الى الباب الخارجى فوجدت سيارة البوليس فى الانتظار . فاستدعى تيل بعض من فيها وقال لهم :

— ابقوا انتم هنا .. وامنعوا اى شخص من مغادرة البيت .. ولكن لا تمنعوا من يريدون الدخول أما اذا ارادوا ان يخرجوا ثانية فامنعوهم .. انني لن اغيب طويلا ..

ثم صعد الي السيارة واخذ يقودها بنفسه متجها الى فيللا هوك وهو يقرض على أسنانه غيظا .

الفصل التاسع

حين وثب الفهد على ايفار نوستين وطرحه ارضا وانشب مخالبه وانيابه فى عنقه طار المسدس من يده فأسرع لوبين والتقطه وأطلق النار على الفهد فاستقرت الرصاصتان فى قلبه . ولكنه قبل أن يموت كان قد استطاع أن يقتل نوستين ويمزقه تمزيقا .

واعتدل لوبين ورجعت الى عينيه نظرته الثابتة الباردة ثم تحول الى ايريك وجعل يتأمله وكان المسكين واقفا يحملق فى ذهول الى جثة الفهد والى ما بقى من جثة ايفار نوستين مختلطا بالدماء والعظام المسحوقة .

وسمع لوبين وقع أقدام تعبر البهو فذكر الرصاصتين التى أطلقهما ولاح له أن من المستحيل أن تخطئهما الأذن فتظنهما فرقعة السوط .

وأسرع لوبين الى الباب ووقف خلفه دون أن يفتحه ثم رفع صوته ونادى الخادم الروسى فى صوت يقلد به صوت سيده نوستين .

وفتح الخادم الباب ودخل فلم تكد الغرفة تحتويه حتى رفع لوبين مسدسه وضربه على رأسه بقبضته فهوى الخادم على الأرض غائبا عن الوعى .

واغلق لوبين الباب وأخرج سيجارة أشعلها واخذ يدخنها فى سرعة .. لقد انتهت المعركة فحق له أن يدخن سيجارته المحبوبة .

وعاد ينظر الى سجين الكهف برهة ثم قال فى صوت هادىء : ايريك .

ولكن الرجل لم يجب ولم يتحرك .. فمشى اليه لوبين ووضع يده على كتفه وقال : ايريك ..

فحرك الرجل رأسه فى شىء من اليأس .

فقال لوبين : هل كان ايفار أخاك ..

— نعم ..

— هذا ما ظننت ..

ومشى لوبين الى المكتب فجلس على المقعد الموجود أمامه واخذ يدخن وقد استغرق فى التفكير .

لم يكن مصرع ايفار نوستين ليهمه فى شىء فهو ليس مسئولا عما حدث بأى حال من الأحوال . ولكنه مع ذلك لم يملك أن يفكر فى أن قوات الشر فى هذه الدنيا قد خسرت بموت ايفار خسارة فادحة لا تعوض . فلو أن الشيطان نفسه هبط الى هذه الأرض وتجسد فيها انسانا لما كان الا ايفار نوستين .

وكانت هذه الصدمة كفيلة بأن تقضى على ما بقى فى دماغ ايريك من الفهم والتعقل ولكنها على العكس من ذلك ردت اليه صوابه فاختفت من عينيه هذه النظرة البلهاء التى كانت تتراءى فيهما عندما خرج من الكهف ..

وابتهج لوبين بذلك لأنه كان يريد أن يعرف .

ولكن لوبين كان من الحكمة بحيث لا يتعجل هذا الاستجواب بل آثر ان يلزم الصمت حتى يثوب الرجل الى وعيه فيتكلم من تلقاء نفسه .

ولما تنبه وجد أن ايريك قد انتزع أحد الستائر وغطى بها جثة أخيه ثم نظر الى لوبين قائلا :

— انى آسف .. لقد أسأت بك الظن من قبل .

فابتسم لوبين وهو يقول : انى لا ألومك . فلو اننى امضيت مثلك سنتين فى هذا الجحر القذر لأصابنى الجنون بلا نزاع .

فأحنى الرجل رأسه مؤمنا ونظر الى تلك الجثة التى

يخفيها الستار عن العيون ثم عاد ينظر الى لوبين وقال : لقد كان ذكيا !

وسكت برهة ثم قال : نعم كان ذكيا ! فى سبيل اغراضه لا يتورع عن الالتجاء الى كل وسيلة ممكنة . لقد احتكر تجارة الورق بالغش والخديعة وارتكاب أسفل الأعمال . ولكنه لم يكن يبالى بالنتائج وكان يتوقع ان سيأتى يوم ينكشف فيه أمره ولذلك حبسنى فى هذا الكهف حتى اذا حل اليوم المعهود اطلق على الفهد فقتلنى وانطلق هو هاربا بالاموال المختلسة فاذا عثر البوليس على جثتى ظنها جثة ايفار نوستين وأمن هو من المطاردة متخذا له شخصية اخرى .

فقال لوبين متسائلا : هل كان يبغضك كثيرا ؟

ـ لا اظن ذلك . فليس ثمة سبب يدعوه الى بغضى . ولكنه كان يسعى الى غرض معين وكنت انا أصلح أداة تحقق غرضه فلم يتردد فى استعمال هذه الأداة فانه لم يكن يقيم وزنا لأى اعتبار من اعتبارات الانسانية وصلة الدم فى سبيل بلوغه القوة والسلطان والثراء .

وفكر لوبين برهة ثم قال : ولكن كيف استطاع ايفار ان يعلل اختفاءك فى العامين الماضيين ؟

لقد لجأ الى حيلة ذكرها لى واستطاع بها أن يخدع الناس جميعا فبطريقة سرية أغرق القارب الخاص بى وأذاع اننى كنت موجودا فيه وبالطبع لم يعثر البوليس على جثتى لاننى كنت محبوسا فى هذا الكهف .

ومضت دقائق ولوبين يدير عينيه فى النقوش المرسومة على السقف ثم قال فجأة : والآن . ماذا تنوى أن تفعل ؟

فهز ايريك كتفيه فى حيرة وقال :

ـ وانى لى ان اعرف ؟ انى لم افكر فى ذلك من قبل . لقد كنت ميتا فى العامين الماضيين ولم أكن اقدر مطلقا أن سيأتى يوم أخرج فيه من محبسى .

ودق جرس التليفون فى تلك اللحظة فتردد لوبين برهة

ثم هز كتفيه فى استخفاف ومد يده فتناول السماعة . وسمع صوت فتاة تقول :

ـ هل يمكننى ان أتكلم مع .. واعتدل لوبين فى جلسته وابتسم فقد عرف فى هذا الصوت صاحبته باتريشيا هولم فهتف يقول :

ـ بات ..! لقد كنت اسائل نفسى عن السبب فى عدم اتصالك بى ؟

ـ حاولت ذلك مرتين فلم يمكننى أحد .

ـ هذا ما ظننت .. ولكن ماذا حدث ..؟ فان نبرات صوتك متهدجة .. فحدثينى بما لديك ..

فأجابته الفتاة بقولها :

ـ كان المفتش تيل هنا . وهو الآن فى طريقه الى فيللا هوك .

ـ ولكن كيف حالك انت ؟

ـ على ما يرام ..

وضحك ضحكة قصيرة هى ضحكة النضال والاستعداد للمعركة التالية .

وستكون معركة عنيفة رهيبة : اما رفعته الى القمة واما هوت به . وكان يعلم أنها سترفعه الى القمة !!

وأردف لوبين يقول فى بساطة لا تنم على ما يجيش فى صدره :

ـ خبئى يا عزيزتى زجاجة الويسكى من هوبى بريجز حتى أجد فيها كأسا عند عودتى .

ـ ومتى تحضر ؟

ـ بعد أن أفرغ من مقابلة صديقى العزيز المفتش تيل

ووضع لوبين السماعة مكانها وأطفأ سيجارته بأن فركها بشدة فى المنفضة .

ومضت عيناه ببريق النضال ومشى الى ايريك فوقف امامه برهة يتأمل وجهه الذى لا يختلف فى شىء عن وجه

ايفار نوستين .

ثم قال فجأة : ايريك .. اصغ الي .. انك لم تعرف اسمي حتى الآن فهل أصبحت في حالة تمكنك من الاصغاء الى حديثي ؟ فأحنى ايريك رأسه ولم يتكلم .

فاسترسل لوبين يقول : انني أدعى جون تومسون ولكنني مشهور باسم أرسين لوبين . فهل سمعت بهذا الاسم قبل حبسك في الكهف ؟

وكانت شهقة الرجل أصدق جواب على هذا السؤال .

وقال لوبين في صوت هادىء وهو يرجو ان يتمكن من اقناع الرجل بوجهة نظره وأن يتخذ منه عونا له على تحقيق الغاية التي يرمى اليها .

ـ اصغ الى . لقد جئت الى هذا القصر منتحلا اسم رجل يدعى جيم فيكرى . وكان أخوك ايفار يريد مقابلة هذا الرجل ليعهد اليه بعمل سرى وقد أنبأتني بذلك أخت فيكرى اذ اتفق أن أنقذتها أول أمس من أيدي البوليس بعد أن قبض عليها . فثار فضولي وتاقت نفسي الى أن أعرف السبب الذى من اجله يسعى ايفار الى مقابلة هذا الرجل فلولا مجيئي الى القصر لظللت أنت محبوسا حتى يقتلك ايفار . فانت مدين لى بحياتك وما كنت لا تمكن من انقاذك لولا دخولى القصر . ولكن البوليس الآن في طريقه الى ليقبض على لنفس السبب الذى مكنني من انقاذك .. فقال ايريك في صوت متهدج :

ـ اني أعرف انى مدين لك بما هو أكثر من الحياة . وليس في وسعي أن أرد اليك هذا الجميل .

فابتسم لوبين وقال : بل يمكنك ان ترده ويمكنك في الوقت ذاته أن تعوض نفسك عن هذه المتاعب التي قاسيتها طول العامين الماضيين ..

ولاح على وجه الرجل انه لم يفهم ما يرمى اليه لوبين !

وساد الصمت برهة ثم امسك لوبين بكتفى الرجل وأخذ يهزه وهو يقول : اصغ الى يا ايريك .. انني رجل خارج على

القانون . ولكنني لست شيطانا رجيما . انى لا أسفك الدماء ولا أسرق الفقراء وانما اهاجم الأغنياء البخلاء الذين يضنون بأموالهم على أولئك العاطلين المساكين الذين يتضورون جوعا . فآخذ منهم لأعطى من يستحقون . كما انى آخذ من كبار الموظفين الذين يستغلون مناصبهم في ابتزاز الرشاوى والهدايا وهذه الأموال كلها لا لأضعها في جيبي وانما لأوزعها على المساكين . انني لست لصا .. ولكنني مصلح جرىء .. في القوانين ضعف وعيوب .. وقد جئت الى هذه الحياة لأصلحها بوسائل قد تكون شاذة ولكن لا سبيل الى الاصلاح الا بالالتجاء اليها . هذه هي رسالتي في الحياة : أن أنصر الفقراء ضد الأغنياء البخلاء ، والمفتش تيل يفهم رسالتي ويقدرها حق التقدير ولكنه مضطر لأن يؤدى واجبه بصفته من رجال البوليس فهذه هي مهمته التي يتقاضى عنها أجره . والمفتش تيل سيء الظن كثير الريب لاسيما اذا كان الأمر متعلقا بأرسين لوبين . فاذا جاء الآن ووجد جثة اخيك ، اتهمني بالقتل .

ـ ولكن يمكنني ان اقول له ان ..

ـ ان هذه ليست غلطتي . أليس كذلك ؟ ولكن هذا الدفاع لن ينقذني مما فعلته بالامس . ولهذا اريد منك ان تقول أكثر من ذلك ..

ولبث ايريك صامتا واسترسل لوبين يقول :

ـ انك تشبه نوستين تمام الشبه . بل انت نوستين فعلا .. فاللقب مشترك بينكما لأنه لقب الأسرة والاسم وحده هو الذى يختلف طبعا فهو يدعى ايفار نوستين . وانت ايريك نوستين . وان تشابهكما عجيب .. ومن يراك سيعتقد على الفور انك انت ايفار وخصوصا اذا كانت معرفته به قليلة . فلماذا لا تأخذ محل أخيك وقد كان في نيته ان يقتلك ثم يهرب اذا ما افتضح أمره تاركا لك اسمه حتى يظن الناس أنه هو القتيل ؟

فبانت الدهشة على وجه ايريك وقال : هل تريد ان تقول . .

ـ اريد ان اقول . . انك انت نوستين . انك ايفار نوستين وليس ايريك نوستين . . لقد سجنك وعذبك وحرمك من الحياة عامين كاملين . . فيجب ان تنال تعويضا عما قاسيته . . ان الدنيا بأسرها تعتقد انك مت غرقا منذ سنتين . والآن تنفتح لك الحياة من جديد فلماذا تنكص ؟ . . ولماذا تتردد ؟ يمكنك ان تتولى ادارة شركات اخيك بأمانة وشرف . . وتصبح انت ملك الورق وسأقف الى جانبك لأقدم اليك كل مساعدة ممكنة ولأمهد لك سبل النجاح فى حياتك الجديدة . . لقد جاء بى ايفار نوستين اعتقادا منه أننى فيكرى الذى يجيد التزوير . وطلب الى تقليد بعض السندات الحكومية ليودعها البنوك ويسحب عليها مالا يزيد به رأس مال شركاته ليتمكن من توسيع أعماله . . ولن اقلد لك السندات طبعا ولو أننى اردت لما استطعت . . ولكننى سأقرضك رأس المال الذى كان اخوك فى حاجة اليه . . سأقرضك بضعة ملايين من الجنيهات على أن أكون شريكا لك فى الربح . ومقابل ذلك اريد منك اذا سألك المفتش تيل أن تقسم انك قابلتنى بالامس فى شارع بونت فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . فاستصحبتنى الى قصرك وبقيت معك حتى الآن . . هذا هو كل ما أريد منك يا « ايفار » نوستين . فما هو رأيك ؟

فأجاب ايريك على الفور : قد قبلت . .

ـ وما هو اسمك اذن ؟ ـ ايفار نوستين . .

ـ حسنا . . قد اتفقنا . .

وأخذ لوبين يدخن سيجارته هادئا مطمئنا .

الفصل العاشر

حين وصل المفتش تيل الى فيللا هوك كان لا يزال ثائر الاعصاب بادىء الحنق . فوضع اصبعه على جرس الباب وضغطه فى شدة كأنما يجد فى رنينه ما يخفف من هياجه . وان هى الا لحظات حتى فتح الباب وظهر على عتبته

الخادم الروسى روسنوف فقال له تيل فى صوت ينم عن انفعاله : انى اريد ان اقابل مستر فيكرى . . فاحنى الخادم الروسى رأسه وقال : اننى فيكرى ياسيدى .

واعقب هذه الكلمات منظر غريب اذ كان تيل لا يتوقع المفاجأة . لقد جاء الى القصر ليقابل جيم فيكرى اعتقادا منه انه هو أرسين لوبين منتحلا ذلك الاسم . فلما سمع الخادم يقول انه يدعى فيكرى فغر المفتش فاه واتسعت حدقتاه ثم احمر وجهه غضبا وصاح يقول فى صوت رفيع حاد . كأنه صرير باب تراكم عليه الصدأ : ماذا . . ؟

فقال الخادم مجيبا : فيكرى ياسيدى . . ان اسمى هو فيكرى . .

فتفرس فيه المفتش برهة ثم قال : ان اسمك هو روسنوف . . اننى اعرفك حق المعرفة . . لقد حكم عليك بالسجن ثلاث سنوات بتهمة السرقة بالاكراه . .

فاحنى الخادم رأسه وقال فى لهجة تدل على التأدب : هذا صحيح يا سيدى . . ولكننى اتخذت لنفسى اسما جديدا فصرت أدعى فيكرى . .

فدفعه تيل بيده وازاحه من طريقه فوقع نظره على رجل بوجهه اثر التحام كان جالسا فى نهاية البهو فقال وهو يتميز غيظا :

ـ واظن ان هذا الرجل يدعى فيكرى أيضا . .

فالتفت الخادم وراءه ثم احنى رأسه قائلا : نعم ياسيدى . انه هو ايضا يدعى فيكرى .

فصاح تيل فى صوت يشبه نباح الكلاب :

ـ وكم رجل فى هذا البيت يسمون فكرى ؟

فقال الخادم وهو يعد على أصابعه :

ـ انهم خمسة يا سيدى . كل من فى هذا البيت يدعى فيكرى . ما عدا مستر نوستين . حتى الخادمة تسمى فيكرى ايضا . وانى اعترف طبعا ان هذا شىء مربك مزعج .

وكان هذا فى الواقع مزعجا لدرجة جعلت المفتش تيل يكاد يفقد الرشد غيظا وحنقا . وود لو استطاع أن ينقض على هذا الخادم فيضربه شفاء لغليله . ولكنه كظم ما بنفسه وقال : اريد أن اقابل مستر نوستين .

فأحنى الخادم رأسه وقال : تفضل يا سيدى .

وقاد المفتش الذى كان يغلى كمرجل القطار الى غرفة المكتبة .

وكان هناك رجلان جالسان يدخنان ، عرف تيل فى احدهما نوستين اذ كان بصفته من رجال البوليس على معرفة بصور ذوى الشخصيات البارزة فى المدينة وان لم يكن فى الواقع قد لقى ايفار من قبل .

أما الشخص الثانى فكان بطبيعة الحال ارسين لوبين .

وقال تيل مخاطبا رب القصر : طاب مساؤك ياسيدى .

ثم تحول الى لوبين وقال له :

ــ واظن انك أنت أيضا تدعى فيكرى ؟

فابتسم لوبين وقال : الواقع ياعزيزى تيل اننى أردت ان امزح معك واضحك عليك .

فاحمر وجه المفتش وكاد الغيظ يخرجه عن طوره ولكنه ملك اعصابه بصعوبة وقال مرددا :

ــ اذن .. فقد أردت أن تضحك على ..!

فقال لوبين مفسرا كلماته :

ــ نعم لقد اردت ان اضحك عليك . فعندما علمت بأنك قادم الى القصر لتبحث عن شخص يدعى فيكرى خطر لى انك تسر كثيرا اذا جئت فلم تجد فى القصر شخصا واحدا بهذا الاسم وانما عدة اشخاص حتى تخرج من هجمتك بحفنة من الأشخاص يسمون جميعا فيكرى ..! فهل انت مسرور بهذه الخدمة التى أديتها لك ..؟

ومرت لحظات والمفتش تيل لا يقوى على الكلام لشدة غيظه فلما هدأت ثائرته قليلا قال :

ــ ان الشيء الوحيد الذى يهمنى هو ان أعرف السبب الذى جعلك انت نفسك تنتحل اسم فيكرى ؟

وقبل أن يجيب لوبين على هذا السؤال انبرى مستر نوستين يقول :

ــ أتعتقد أن لك حقا يخولك ان تدخل قصرى وتتصرف بهذه الطريقة يامستر ...

فقال المفتش فى اقتضاب : تيل .. اننى المفتش تيل ..

فانبرى لوبين يقول باسما :

ــ المفتش تيل ..؟ وعلام تريد أن تفتش ؟ على عدادات الكهرباء ؟

فصاح المفتش تيل بملء صوته :

ــ انك تعلم باننى من ادارة سكتلنديارد يالوبين ..

فقال لوبين متظاهرا بالدهشة :

ــ ادارة سكتلنديارد ..! اننى لم اسمع بهذا الاسم من قبل ! هل هذه ادارة شركة تتاجر فى الحيوانات ..؟

وهنا قال مستر نوستين :

ــ كونك من رجال البوليس لا يمنعك من أن تتصرف وفقا لما تقضى به واجبات اللياقة والأدب .

فقال المفتش وهو يرمى لوبين بنظرات يتطاير منها الشرر :

ــ هذا الرجل هو من كبار المجرمين ..! ان اسمه الحقيقى هو ارسين لوبين .. وانى اريد أن أعرف سبب وجوده فى هذا القصر منتحلا اسم جيم فيكرى .

فقال نوستين مجيبا :

ــ انى استطيع أن اشفى غليلك . ان مستر لوبين من اعز اصدقائى . وانى أعرف طبعا السمعة التى يتمتع بها وأن كنت لا استطيع أن اغالى فأصفه بأنه من كبار المجرمين . ولكن الدنيا بأسرها تعرف اسمه .. ولهذا آثر كلما نزل ضيفا على أن يتخذ لنفسه اسم فيكرى حتى يوفر على ثرثرة الخدم

وينقذنى مما قد يقوله الناس اذا عرفوا أن ضيفى هو أرسين لوبين .

فقال تيل فى خشونة :

ـ وكم مضى من الوقت وهو ضيفك ؟

ـ انه ضيفى من الليلة الماضية . أو بعبارة أدق بعد منتصف الليل .

ـ هل تستطيع ان تذكر الوقت بالضبط ؟

ففكر نوستين برهة ثم قال :

ـ لقد التقينا بكل تأكيد بعد الساعة الثانية ببضع دقائق فقد رأيته عند « نادى برنار » عقب خروجه منه اذ كنت مارا بسيارتى فدعوته الى مرافقتى .

ولم يكد المفتش تيل يسمع هذه الشهادة حتى كان وجهه مسرحا لانفعالات لا حصر لها كان الألم ابرزها بلا شك كأنما اصابته رفسة من جواد قوى .

ولما استطاع المفتش أن يتكلم قال :

ـ هل أنت متأكد من انك قابلت لوبين فى شارع بونت فى الساعة الثانية بعد منتصف الليلة الماضية فرافقك الى قصرك ..؟

ـ طبعا .. انى متأكد من ذلك ..

فانفجر مستر تيل يقول :

ـ وهل كانت معه احدى سيارات التاكسى ..؟

فقال نوستين فى شىء من الدهشة :

ـ الواقع انه كانت معه سيارة تاكسى .. لقد اشتراها قبيل ذلك بلحظات ليهديها الى أحد المتاحف لأنها سيارة من طراز عتيق . فاضطررنا أن نودعها الجراج قبل أن نحضر الى القصر .

وهنا انبرى لوبين يقول فى شىء من الاعجاب :

ـ انك مدهش ياتيل ..! كيف عرفت اننى اشتريت سيارة تاكسى ..؟ صدقنى انك من اعظم رجال البوليس

السرى .

فكان جواب المفتش تيل على هذا الاطراء أن لوح بيده فى الهواء مهددا متوعدا ولكنه لم يقل شيئا .

والواقع انه لم يكن لدى المفتش تيل شىء يمكن أن يقال .. فان التهمة ليست ثابتة على لوبين .. انه يعترف بأنه اشترى سيارة التاكسى حقيقة ولكن من المستحيل اثبات ان السيارة التى ركبها المفتش تيل هى نفسها السيارة التى اشتراها لوبين مادام تيل ومساعده باروى لم يستطيعا قراءة رقمها عند فرارها . فلا يمكن أن يقال بعد ذلك على وجه التأكيد أن السيارة التى وقع فيها الحادث هى سيارة لوبين .. لا سيما و « ملك الورق » يشهد بأن لوبين كان موجودا معه فى الوقت الذى وقع فيه الحادث ..

وقال المفتش تيل :

ـ وعند ما قابلت لوبين ... هل كان قد مضى وقت طويل على شرائه السيارة ..؟

فأجابه نوستين بقوله :

ـ ببضع دقائق على الأكثر .. فقد رأيت صاحب السيارة الأصلى واقفا يعد الثمن على ضوء المصباح القريب .

ـ هل كان معك احد ؟ ـ سائق سيارتى طبعا .

ـ هل تعرف أن خادمك مجرم سبق الحكم عليه بالسجن ..؟

فرفع نوستين حاجبيه فى استغراب وقال :

ـ وما هى العلاقة بين هذا وبين ما نحن فيه ..؟ نعم . اننى أعرف تاريخ حياته .. ولعله يسرك أن تعرف اننى اهتم دائما باصلاح المجرمين وأحاول أن أجد لهم أعمالا بعد خروجهم من السجن .

وكان مستر نوستين وهو ينطق بهذه الكلمات يرتعد دلالة على أن صبره قد نفد ولهذا أردف يقول فى صوت متهدج :

ـ اسمع يا حضرة المفتش . انى على استعداد لأن أجيب

على أسئلتك ولكن يجب أن تفهم ان لاحق لك فى استجوا
الا بالطريقة المقررة قانونا .. واظن ان مركزى لا يسمح لك
بأن توجه الى اسئلة خارجة عن حدود اللياقة .

وهنا نهض لوبين واقفا وهو يقول .

ـ اسمع ياعزيزى تيل .. يجب أن تفهم انك مخطىء ف
ظنونك ويجب أن تعترف بهزيمتك .. ولكن اذا حضرت مر
اخرى فسأريك بابا سريا يفضى الى كهف تحت الأرض
داخله جثتان .

وكان لوبين ينطق بهذه الكلمات فى لهجة تدل على الهزل
وان كان فى الواقع يتكلم جديا مشيرا بذلك الى جثة ايفا
نوستين وجثة الفهد .. ولكن انى لمستر تيل أن يدرك هذ
الحقيقة !؟

ولهذا صاح تيل وقد استثقل مزاح لوبين :

ـ تمنيت لو أن احدى هاتين الجثتين كانت جثتك أنت

فقال لوبين :

ـ وبمناسبة الكلام عن الجثث أقول لك انى اعتقد ان
كرشك قد كبر وتضخم وكلما تخسته بأصبعى يهتز ..
انظر ..

ولكن المفتش تراجع الى الوراء ووضع يديه على كرشه
ليحميه وهو يقول :

ـ كلا .. كلا .. لا تفعل ذلك .

فتنهد أرسين لوبين وقال معاتبا :

ـ ما بالك الليلة ياتيل ضيق الصدر لا تحب المزاح ..
اسمع نصيحتى وتناول ملعقة من زيت الخروع قبل النوم
حتى تهدأ اعصابك . ان للزيت طعما لذيذا كعصير الشليك .
الشليك .

ومشى المفتش تيل الى الباب وهو يتميز غيظا اذ لم يكن
هناك ما يدعوه الى البقاء . فقد لحقت به الهزيمة ولم يكن ثمة
خفاء فى ذلك وكل دقيقة يمضيها انما تزيد فى عذابه لأنه لن

يسمع فيها الا دعابات لوبين ومزاحه الساخر .

ولكن لوبين لم يدعه يخرج وحده وانما شيعه حتى
الباب الخارجي وتيل لا يستطيع أن يمنعه ولما هم المفتش
بالخروج وهبوط الثلاث درجات الخارجية قال له لوبين :

ـ احذر أن تقع .

فصاح المفتش فى غيظ :

ـ دعنى وشانى .. فانى اعرف كيف اهتم بنفسى .
ويحسن بك أنت أيضا أن تهتم بنفسك فلن تستطيع أن تفلت
منى باستمرار . ولابد أن يأتى يوم اقبض فيه عليك دون
أن تجد دليل نفى ينقذك . لابد أن يأتى يوم ارسلك فيه الى
السجن فلا تخرج أبدا . لابد ان يأتى يوم أعرف فيه كيف
انتقم منك . لابد أن يأتى يوم ..

فقال لوبين مكملا جملة المفتش :

ـ لابد أن يأتى يوم اهزمك فيه واجعلك أضحوكة العالم
مرة اخرى " .

ثم أوصد الباب فى وجه تيل .

وفى طريقه الى غرفة المكتبة لقى الخادم الروسى
دوسنوف فقال له :

ـ أظنك يادوسنوف لن تنسى تعليماتى ؟

فأحنى الرجل رأسه وقال :

ـ نعم ياسيدى

ـ والويل لك اذا أنت نسيت حرفا واحدا . يمكنك أن
تغادر هذا القصر . فاذا عرف أحد حقيقة ما حدث من
استبدال الأخين كنت انت المسئول عن هذا . أما اذا عرفت
كيف تلزم الصمت فانى سأعرف كيف أجزل لك العطاء .
وارسين لوبين لا يخلف وعده أو وعيده ..! فهل فهمت ؟

فأحنى الخادم رأسه وقال :

ـ لقد كنت مبدعا ..

ولما رجع لوبين الى المكتبة استقبله ايريك نوستين بقوله :

— هل نجحت فى تمثيل دورى ؟

— لقد كنت مبدعا ..

ثم تنهد لوبين وقال :

— لقد كان يومنا هذا يوما عظيما ..

ثم اردف يقول :

— ولكننى أريد منك خدمة أخرى .

— ما هى ..

— ان فى بيتى الآن فتاة تدعى مس فيكرى هى التى ذكرت لك اننى اختطفتها من بين براثن البوليس فلن يهدا المفتش تيل بال حتى يقبض عليها . ولذلك أنوى أن أهربها الى الخارج سرا ولكن لابد لها أن تكسب رزقها والا ماتت جوعا .. فهل لك أن تجد لها عملا فى احد مصانعك الموجودة فى بلاد السويد .. انك تستطيع أن تفعل ذلك بسهولة وانى اذكر انك قلت للمفتش تيل أنك تهتم باصلاح المجرمين فيمكنك أن تصلح هذه الفتاة .

فقال ايريك نوستين مجيبا :

— سافعل ذلك بكل ارتياح .

ثم أردف يقول :

— وبهذه المناسبة هل هناك أمل فى أن أتمكن من اصلاحك انت ؟

فاجاب لوبين بقوله :

— لقد تكفل المفتش تيل بذلك .. ولكنه .. لن يفلح !

وكان هذا صحيحا .

لأن لوبين ظل طول حياته ذلك المغامر الجرىء الذى لا يتوب ولا ينصلح حاله .. لقد عاش ومات ملكا للمغامرين واللصوص .

القسم الثانى
التمثال النحاسى

صاح السير امبروز جرانج :

— هل لك فى كأس أخرى ؟

كان السير امبروز رجلا ثرثارا .. ولكن العبارة التى الفاها كانت أكثر العبارات ترديدا على لسانه .. وقد استعملها مرات عديدة فى تلك الليلة حتى بدأ أرسين لوبين يتساءل عما اذا كان السير امبروز قد توهم أنه يجالس فيلسوفا استنبط لونا جديدا من الفلسفة .. أو مخترعا ابتكر آلة قيمة ستؤثر تأثيرا عظيما فى مستقبل المتهمين وهو يريد أن يستدرجه الى التصريح بأمرها ومعرفة كل شيء عنها .

وهم لوبين بالاعتذار الى السير امبروز من عدم رغبته فى احتساء المزيد ولكنه عدل عن رأيه رغبة منه فى اطالة جلسته مع السير جرانج .

وبعد أن ملأ الخادم القدحين جعة . استطرد السير امبروز :

— نعم يا سيدى .. ان الشغل شغل .. هذا هو شعارى الذين أدين به ولا أحيد عنه قيد أنملة .. فاذا اتفق أن عرفت أن قيمة شيء ما من الندورة بمكان بينما كان ثمة شخص آخر يجهل هذه الحقيقة فان من حقك ان تبتاع هذا الشيء من الشخص الآخر بالسعر الذى يحدده دون أن تفصح له عن القيمة الحقيقية لذلك الشيء . وبذلك يحصل على ما يعتقد انه سعر مقبول وتحصل أنت على ربح مزدوج ويخرج كلا كما من الصفقة قانعا مبتهجا .. أليس هذا ما يحدث كل يوم فى سوق المضاربات ؟ اذا بلغك من مصدر سرى ان سندات معينة لا تلبث أن يرتفع سعرها أفلا تبتاع منها عددا وافرا بقدر ما تستطيع ؟ من المحتمل الا تقابل الرجل الذى يبيعك اياها مرة أخرى ولكن ذلك لا يغير من حقيقة الموقف وهى انك تستغل معرفتك ، لحرمانه من كسب محقق فيما لو بقيت هذه السندات عنده .. ثم انك لا تحاول أن تقنع نفسك بمكاشفة البائع بحقيقة الحال .. وهى أن

تلك السندات سترتفع قيمتها فى مدى أسبوع آخر وما ذلك الا لانك تريد الاستثمار بالربح من دونه .

فغمغم لوبين بتأدب جم : انك على حق يا سيدى .

واردف السير امبروز وهو يربت على ركبة لوبين بقوة وحماسة :

ـ وبناء على هذا المبدأ اقتنصت فرصة طيبة عرضت لى للحصول على ربح عظيم . وتفسير ذلك انه قد بلغنى ان الحكومة تعتزم انشاء شارع جديد يخترق منزل ارملة عجوز فهل تدرى ماذا فعلت ؟ اتراني ذهبت اليها قائلا : (ياسيدتى لن يمضى اسبوع او اثنان حتى تجدى نفسك فى موقف يبيح لك ان تفرضى على الحكومة السعر الذى تريدينه ثمنا لمنزلك وان اى مصرف او شركة معمارية لتقبل مغتبطة ان تقرضك مبلغا يكفى لوفاء قيمة الرهن عن هذا المنزل ؟) .. حقا لو انى فعلت شيئا من هذا لكنت اكبر مغفل على ظهر البسيطة فهذا عمل يدل على رقة الشعور وما انا بالرجل الذى يخضع للمؤثرات . ومهما يكن فالخطأ خطأ تلك العجوز الشمطاء فلولا قصر نظرها لتفتحت عيناها عما يدور حولها .

وقد انتهزت هذه الفرصة الذهبية فتقدمت اليها وعرضت عليها سعرا لا بأس به . فقبلت مغتبطة . وما انقضت ثلاثة اسابيع حتى بعت منزلها بسعر يماثل ذلك الذى دفعته لصاحبته خمس عشرة مرة .

وتمهل المتكلم ريثما يفرغ قدح الجعة فى حلقه ثم استطرد :

ـ يا الهى ! كان يجب أن ترى وجه تلك العجوز المتهدمة عندما سمعت النبأ .. لقد امطرتني بوابل من شتائمها ودعائها الذى لو تحقق لكنت الآن طريح الفراش اعانى سكرات الموت بيد انني لا القى بالا الى مثل هذه السفاسف ! .. هل لك فى كأس اخرى ؟

فقال لوبين بشىء من الملل : بل دعنى اقدم لك واحدة .

ولكن السير امبروز رفض قائلا :

ـ لا ياسيدى . انى لا اسمح لشاب فى مثل سنك ان يدفع لى ثمن شرابى .

فابتسم لوبين . واشعل لفافة تبغ بينما مشى السير امبروز الى البار ..

وبقى لوبين وحده .. فراح يفكر فى الحوادث العجيبة التى مرت به خلال الساعتين الماضيتين منذ تعرف الى السير امبروز لاول مرة .

كان لوبين قد اعتزم قضاء الليلة فى التسكع فخرج من منزله قاصدا حى الوست اند وهو يرجو ان يقع على ركن هادىء فى مشرب منعزل ينعم فيه بقدحين من الجعة .

وفى احد المشارب الصغيرة التقى بالسير امبروز ..

وكانت بداية تعارفهما ملاحظة عابرة ألقى بها السير امبروز جرانح عن الحالة الجوية .. وما انقضت بضع دقائق حتى قدم بطاقته للوبين واعقبها بدعوته الى الشراب وقد قبل لوبين الدعوة .. وما أن فرغ الاثنان من احتساء القدح الاول حتى شرع السير امبروز يحدث رفيقه عن الحيل والالاعيب التى كان يلجأ اليها وهو صبى فى المدرسة ليحرم اقرانه من كمية الحلوى المقررة لهم اسبوعيا .

واذ انصرمت عشر دقائق شرع العجوز الثرثار يصف للوبين الوسائل النابية التى لجأ اليهاف الحصول على ثروته العريضة

وللوهلة الاولى ادرك لوبين انه وقع فى مغامرة جديدة وانه لم يضيع وقته هباء .

عاد السير امبروز فى تلك اللحظة وهو يترنح من فرط الشراب واخذ مجلسه قبالة لوبين ثم مال الى الخلف فى مقعده وتنهد .. واستطرد بغير ملل :

ـ نعم ياسيدى .. ان العاطفة سلاح الضعفاء .. وقد كان عمى رجلا رقيق القلب فهل تعلم ماذا جرت عليه هذه الرقة .. ؟

ولما كان لوبين يجهل كل شيء عن ذلك العم فانه عجز عن الاجابة عن هذا السؤال .

فقال السير امبروز لحل المعضلة انهـــا جعلته مكروها كالطاعون من ورثته فقد كانت العاطفة سببا فى ضياع ثروة ذلك العم المأفون فلم يخلف غير عشرة آلاف جنيه هى كل ما استطاع ان يحافظ عليه من ثروته الطائلة .. فهل تعلم ماذا فعل بهذا المبلغ ؟

وللمرة الثانية عجز لوبين عن الاجابة فخف محدثه الى نجدته فقال :

ــ انظر الى هذا .

واخرج تمثالا نحاسيا صغيرا من جيبه ووضـــعه على النضد بين الاقداح .. فحملق لوبين فى التمثال . فعرفه من فوره .

كان تمثال المعبود بوذا .

واستطرد السير امبروز :

ــ هذا يا سيدى هو التراث الذى تركه لنا عمى .. وقد ابتاعه من شنغهاى عندما كان شابا فى عنفوانه . وكان يعتبره تعويذة مجلبة للحظ السعيد فاذا أصبح الصباح أطلق البخور امامه اذ كان يعتقد ان نجاحه مرهون بتقديس هذا التمثال فهل تدرى ماذا جاء بوصيته عندما وافته المنية ؟

كان لوبين قد بدأ يعتاد ذلك النمط من حديث السـير امبروز فلم يعد يعبأ بالاجابة على أسئلته او التفكير فى كيفية التخلص منها .

ولكنه قال مخمنا :

ــ لعله رصد الف جنيه لشراء أعواد البخور .

فهز السير امبروز رأسه فى شيء من الضجر .. ومضى يقول :

ــ كلا يا سيدى .. بل فعل ماهو أسوأ من ذلك بكثير . فقد اشترط ألا يمس احدنا بنسا واحدا من ثروته حتى يباع

هذا التمثال المضحك بالفى جنيه وقال : ان الرجــل الذى يدفع مبلغا كهذا ثمنا لتمثال نحاسى انما يعرف قيمة هــذا الاثر النفيس ولاريب انه سيعنى به العناية التى يريدها .. واما انا فاعتقد ان الرجل الذى يدفع مثل هذا المبلغ الكبير لشيء تافه كهذا جدير بان يلقى فى مستشفى المجاذيب دون حاجة الى شهادة طبيب .. ولكن ذلك لم يحررنا من قيود الوصية واصر المحامون على العمل بمقتضاها . فمنذ ذلك الحين وانا أحمل التمثال اللعين فى جيبى واعرضه على أصحاب حوانيت العاديات فى لندن فكان اعلا سعر عرض على خمســـة عشر شلنا .

فهتف لوبين :

ــ اذن لماذا لم تعمد الى الحيلة فتتفق مع صديق لك على ان يبتاعه منك بالفى جنيه .. ثم ترد المبلغ اليه بمجرد التحرر من قيود الوصية ؟

ــ او كان فى استطاعتى ان افعل شيئا من هذا ياسيدى لما ترددت .. ولكن هذا الاحمق احتاط لمثل هذه المراوغـــة فحتم على المسجلين الا يتصرفوا فى ثروته قبل ان يتأكدوا تماما من ان الصفقة حقيقية لا زيف فيها وجعل مصرفه قواما على انفاذ الوصية .. الا لعنة الله عليه ؟ كلا يا صديقى .. ان املنا مرهون بالعثور على رجل غريب يتمتع بنصيب وافر من الغباوة وسوء التقدير فنبيعه هذا التمثال وهو ثمل .

فالتقط لوبين التمثال وفحصه باهتمام وعناية .. فالفاه ثقيلا ثقلا غير عادى فتكهن بان التجويف الداخلى قـــد ملىء رصاصا .. وفى أسفل التمثال وقع بصر لوبين على عبــــارة باللغة الصينية محفورة فى المعدن وملونة باللون الأحمر .

ومال السير امبروز الى الامام فى مقعده واشار الى الكتابة ثم قال :

ــ يالها من لغة مضحكة .. لطالما وددت ان اقابل رجلا صينيا يستطيع ان يفسر لى هذه العبارة .. انظر الى هـــذه

النقوش . انها اشبه شيء بفرخ ضفدع له اجنحة .. واقسم ان هذا النقش رمز لسبب قبيح فان حجمــــه ضعف حجم الكلمات الاخرى .. هل لك فى كأس اخرى ؟

فنظر لوبين فى ساعته .. ثم اجاب :

ـ يؤسفنى اننى مرغم على التعجيل بالعودة الى المنزل .

ـ اذن فتعال لزيارتى ذات مساء .. ان عنوانى مذكور فى بطاقتى . وقد راقتنى صـــــداقتك فلا تنس ان تزورنى فى الاسبوع القادم وسادعو بعض الفتيات لقضاء السهرة معنا .

* * *

وصل لوبين الى منزله فى اللحظة التى كان بيتر كونتين وباتريشيا هولم يهبطان فيها من سيارة اجرة . وكانا يرتديان ثياب السهرة فشملهما لوبين بنظـــرة استنكارية قاسية . وقال :

ـ اما زلتما مصرين على انكما الرقمان واحد واثنان من عظماء المجتمع العشر الاماثل !!

فقالت باتريشيا وكانت تتوكأ على ذراع كونتين :

ـ ياله من غيور ! لقد اكل الدهر وشرب على ثياب سهرته ووجدت فيه الجرذان مرتعا خصبا للطعام او لاشباع بطـون خاوية عز اشباعها لندرة المأكولات .

كان احد اصدقاء لوبين قد اهداه تذكرتين للاوبرا .. بيد انه رفض الذهاب لما يستدعى ذلك من ارتداء ثياب السهرة فى هذا الطقس الحار الخانق .. وعندئذ تطوعت باتريشـيا وبيتر للذهاب نيابة عنه .

سأل بيتر :

ـ لقد جال بخاطرنا ان فى دارك طعاما فجئنا متطفلين على مائدتك الشهية .

فابتسم لوبين وهز رأسه . ثم غمغم :

ـ حقا ! انى لا اعلم ايتا المتطفل . فانى ابحث عنكما لتقدما الى تلك المائدة ولكن ما دام حالكما ليس بافضل من حالى فهلما

بنا الى احد المطاعم .

واستقلوا السيارة .

وفى الطريق سأله كيف قضى سهرته فأجاب متأملا :

ـ لقد كنت احتسى الجعة مع مخلوق من اغرب مخلوقات لندن واؤكد لكما اننى اذا فشلت فى ارغامه على الندم على ما باح لى به فاننى لن اغتسل ستة شهور سويا .

شغلت مشكلة الحصول على هبة ملائمة من السير امبروز جرانج كل افكار لوبين خلال اليوم التالى .

وقد راح يستعرض الخطط لعله يظفر بأكثرها ملاءمـة لتحقيق اغراضه . وانه لكذلك يعصر ذهنه اذ جاءته الظروف بالفرصة التى كان ينشدها طائعة مختارة .

وكان ذلك فى مساء يوم الاثنين عنـدما غادر لوبين منزله وانطلق الى بيكاديللى وهو يؤمل العثور على صحيفة مذكور بها اسم رابح سباق هذا اليوم .

وفيما كان يغادر الدار . كاد يصطدم بشاب فى مقتبـل العمر يضع عوينات فوق عينيه ويرتدى قبعة من الفلين كان يسير على عجل .. فترنح الشاب وكاد يسقط لو لم يبادر لوبين باسناده .

وتحولت انظار كثيرين من المارة لمراقبة هذا المنظر الغريب بينما اتسعت حدقتا الشاب ورمق لوبين بنظرة شريرة ثم قال باللهجة الامريكية :

ـ انى آسف يا سيدى .. وعما قريب استرد هدوئى . اقول لك الحق انى اجهدت نفسى كثيرا بعد العملية الجراحية التى اجريتها برغم ان الطبيب نهانى عن بذل اى مجهود .. انظر الى هؤلاء المتطفلين .. انهم يودون من صـميم قلوبهم ان اموت فيجدون فى ذلك المنظر اداة للتسلية .. لكن هـل تقيم على مقربة يا سيدى ؟ اما من مكان استريح فيه هنيهة ؟ لقد ضقت ذرعا بتطفل هؤلاء المتسكعين الذين ينظرون الى كما لو كنت تمثال نلسن .

فقاد لوبين الرجل الى داخل الدار وأجلسه على مقعد بجانب المصعد .. فخلع الغريب – وكان امريكيا – قبعته وجفف العرق الذى سال فوق جبهته ثم قال :

– لقد غادرت المستشفى منذ أربعة أيام فقط ولكنى اجوب الطرقات كالمجنون من أجل اثنين منها .. فلم اتناول طعام الغداء وكدت ألاقى حتفى تحت عجلات احدى السيارات منذ عدة ساعات .. اخبرنى ألا يوجد تليفون عام على مقربة؟ لقد وعدت زوجتى بأن أقابلها منذ ساعة مضت فلا ريب انها تظن الآن انى قتلت فى حادث .

فقال لوبين : كلا .. لا يوجد تليفون على مقربة .

واذ لاحظ لوبين دلائل الاضطراب والقلق البادية على وجهه .. نظر فى ساعته .. فألفى أن لديه متسعا من الوقت يصرفه مع هذا الامريكى الغريب الاطوار .

فقال : فى استطاعتك أن تستعمل تليفونى الخاص اذا شئت .. انى اشغل الطابق الاول من هذه الدار .

– احقا تقول ؟ هذه مكرمة عظيمة منك يا سيدى .

وعاونه لوبين حتى أدخله الى المصعد .. وما هى الاهنيهة حتى كانا فى غرفة جلوس لوبين بجانب التليفون .

والتقط الامريكى السماعة وطلب من العاملة أن تصله بفندق سافوى ثم خاطب زوجته مطمئنا اياها على سلامته .. ثم اعاد السماعة مكانها .. وقال :

– انى عاجز عن شكرك .. فهل لك فى سيجار ؟

فتقبل لوبين المنحة شاكرا .. واسترسل الامريكى قائلا :

– تصور أن عظامى كادت تتهشم عندما اصطدمت بك . فانى فى الحقيقة ما زلت منهوك القوى . ولكنى لم اكن أعتقد أن استئصال « الزائدة الدودية » يسبب للانسان مثل هذا الضعف .. هل تعلم يا صديقى انى أكاد أقتل نفسى فى البحث عن تمثال نحاسى لعين للمعبود بوذا ؟

كان لوبين يهم باشعال سيجاره .. فلما سمع عبارة

الامريكى الاخيرة توقف عن ذلك وراح يحملق فى وجهه حتى لسعته النار .

وسأل فى اعياء :

– تمثال نحاسى للمعبود بوذا ؟ ومن يريد هذا التمثال ؟

– ان لويس فروسارد يريد الحصول على واحد منها مهما كلفه ذلك أيها الغريب .. ولكن دعنى أولا أقدم لك نفسى .

واخرج حافظة أوراقه من جيبه فأخذ منها بطاقة قدمها للوبين وأردف :

– اننى أدعى جيمس ج . امبرسون .. وفى خدمتك يا سيدى .. فاذا عن لك فى يوم أن تحصل على جمجمة نابليون أو البيجاما الاصلية التى أعطتها ملكة سبأ للملك سليمان فانى الرجل الذى يستطيع أن يحصل لك عليهما .. نعم يا سيدى .. ذلك هو عملى : البحث عن الحلقات المفقودة لحساب دور العاديات أو أصحاب الملايين الذين يهوون جمع العاديات حتى يستطيعوا تزويد مخبرى الصحف بمادة لاقلامهم .

ذلك هو أنا ..

فقال لوبين فى شىء من التدليل :

– وما حاجتك بتمثال المعبود بوذا ؟

فبسط جيمس ج . امبرسون (طبقا لما جاء ببطاقته) يده النحيلة فى حركة تدل على اليأس .. وقال :

– انى فى حاجة ماسة اليه .. وقد جبت لندن من أقصاها الى أقصاها فى البحث عنه .. وعثرت عند بعض الناس على تماثيل من هذا القبيل .. ولكنى لم اجد بينها التمثال المنشود .

ان التمثال الذى أبحث عنه واحد من ثلاثة كان يملكها أحد اباطرة الصين ممن حكموا فى القرن الثانى قبل الميلاد .. وقد اصطنع هذا الامبراطور تلك التماثيل هدية منه لبناته الثلاث .. ولا احسبنى بحاجة الى الخوض فى تاريخها ..

وانما يكفي ان اقول ان (لويس فروسارد) استطاع الحصول على اثنين منها ، وهو يبحث عن الثالث ليضمه الى اخويه .

وقد عهد لويس فروسارد الى بمهمة البحث عن التمثال المفقود . فلم اكف حتى هذه اللحظة عن البحث والتنقيب .. ولكن هانذا قد منيت بفشل مرير .

وكف الامريكى عن الكلام .. وجعل لوبين يدخن فى اضطراب ظاهر .

وأخيرا .. سأل :

ـ ولكن كيف يتسنى لك أن تعرف هذا التمثال بعينه .. ان انت استطعت العثور عليه ؟ .

ـ ان به علامات معينة تميزه عن غيره من التماثيل .. ففى قاعدته عبارة محفورة بالصينية .. ومطليه باللون الاحمر .. ثم ان اسم ابنة الامبراطور الصينى القديم محفور ايضا على التمثال .. ولقد اضطررت الى استخدام رجل صينى ليزودنى بالحروف التى يتكون منها هذا الاسم كيلا اخطئه اذا وقع بصرى عليه .. يا الهى ان له لمنظرا غريبا .

وساد الصمت بين الرجلين هنيهة .. كان صدر لوبين خلالها مسرحا لانفعالات متباينة .

وسأل : هل تسمح برسم الاسم المحفور على التمثال .. فانى رجل محب للتفرج على كل ما هو غريب شاذ ؟ !

فاتسعت حدقتا الامريكى فى دهشة .. ولكنه أخرج قلما من جيبه ورسم شكلا معينا فوق ظهر غلاف كان موضوعا على مكتب لوبين .

وقال : انظر .. انه شكل غريب .. لكن .. يا الهى ! ماذا دهاك ؟ انك تنظر الى كما لو كنت مومياء بعثت من جديد .. ماذا دهاك يا سيدى ؟

فعلا صدر لوبين وهبط ..

أدرك أن الفرصة التى كان يتحينها قد وافته على غير انتظار .. وان ساعة الفرح قد آذنت .. فعما قريب تنتفخ

جيوبه بالمال .. ويستطيع قضاء فترة من الراحة فى هدوء بال .

وتمالك روعه ثم قال :

ـ لا شىء .. لا شىء .. ولكن كم من الملايين سيدفع مستر لويس فروسارد ثمنا لهذا التمثال .

فأجاب امبرسون بحذر . وهو ينظر الى لوبين محيرا مضطربا :

ـ حسنا .. ان المليون رقم كبير .. ولكن المبلغ الذى فوض لى مستر لويس فروسارد دفعه ثمنا للتمثال لا يستهان به .

وامسك هنيهة ، كأنما يتدبر أمره .. أو بدافع من حذره .. وما لبث أن قال :

ـ انى على استعداد لان ادفع خمسة عشر الفا من الجنيهات ثمنا لهذا التمثال .

فقال لوبين بهدوء عجيب :

ـ حسنا .. سآتيك بالتمثال المنشود .

فارتسمت على وجه الامريكى علامات الذهول ، والجمود ، والتبلد .. ولكنه مالبث أن انبعث واقفا على قدميه . ثم قال :

ـ لست ادرى ان كان ذلك فى مقدورك .. أم انك فقط تستدرجنى لافضى اليك بسرى لتنتفع به . ولكن .. مهما يكن . اعلم انك اذا استطعت أن تأتينى بهذا التمثال فسأنقدك مبلغ الخمسة عشر الفا من الجنيهات دون تردد أو ابطاء ..

وتهيأ للانصراف . واردف :

ـ انى عاجز عن شكرك على مالاقيته من اهتمامك وعنايتك . وارجو أن تتكرم بزيارتى غدا فى فندق سافوى . لنتناول طعام الغداء معا . ولكن لا تنس أن تحضر تمثال بوذا معك .

فقال لوبين : شكرا لك .. سآتى .. ومعى التمثال فى

الموعد المعين .

ورافق الامريكي حتى الباب .. ثم عاد الى التليفـون . وأراد الاتصال بالسير امبروز جرانج ولكنه القاه خارج الدار وقال له محدثه ان السير امبروز لن يعود من الخارج قبـل الساعة السادسة .

وفي الموعد المحدد اتصل لوبين بالسير جرانج .

وقال له :

ـ لعلك تذكر انك دعوتني لزيارتك . ؟ ! حسنا .. لقد نزرت تلبية هذه الدعوة الكريمة . وسأزورك هذا المساء .

فهتف السير امبروز بترحيب وطرب :

ـ على الرحب والسعة يا صديقي العزيز . ولكن لو انك كاشفتني برغبتك هذه في وقت انسب ، لاستطعت أن أدعو الى الدار بعض الفتيات ..

فقاطعه لوبين : كلا .. لا ثمة ضرورة لذلك .

وبعد نصف ساعة ، وصل لوبين الى منزل السير امبروز فاستقبله هذا بترحيب واغتباط .

ولم يتمهل لوبين . وصارح مضيفه من فوره بالغرض الذي جاء من أجله ..

قال : لقد جئت لابتاع تمثال بوذا منك .. واظـن انك اخبرتني ان عمك اشترط بيعه بمبلغ الفين من الجنيهـات . اليس كذلك ؟

فحدجه السير امبروز بنظرة تدل على عدم التصديق .. أم لعله اعتقد ان لوبين مذهوب به .

وما لبث ان انفجر ضاحكا .. وهتف :

ـ ها .. ها .. ها . ! ! لا ريب انك تقصـد الدعابة ياسيدي .. والا جعلتني اعتقد انك قد أصبت بمس .. فأي انسان عاقل يدفع مثل هذا المبلغ الضخم ثمنا لقطعة مـن النحاس لا تساوي شيئا ؟ لا .. لا .. يا سيدي . انى اربأ بك عن ارتكاب مثل هذه الحماقة .. ولا تطاوعني نفسي على

التغرير بك وخديعتك .. هل لك في كأس أخرى ؟ !

فأجاب لوبين بهدوء واتزان :

ـ مهلا لحظة يا سيدي .. انى انما جئت لابتياع التمثال وسأنقدك مبلغ الالفي جنيه ثمنا له .. لقد راهنت على عدة جياد في الاسبوع المنصرم وخسرت مبلغا كبيرا من المال .. فاذا لم أحصل على تميمة تجلب لي الحظ . فلن يمضي اسبوع واحد حتى امثل امام محكمة التفاليس .

واذ تبين التردد في نظرات السير امبروز ، شرع يحدثه عن الفوائد التي سيجنيها كلاهما من الصفقـة . فهو ، أي السير امبروز ، سيتمكن من انفاذ الوصية المعلقة والحصول على ثروة عمه . ويتمكن من المراهنة بمبالغ كبيرة وهو واثق من الكسب ..

وقد استطاع لوبين ان يقنع السير امبروز بالتخلص من التمثال بعد حديث طويل . وكتب له شـيكا بالمبلغ على مصرفه . ثم اخذ رقعة من الورق سجل فوقها الايصـال التالي :

« تسلمت من مستر ارسين لوبين مبلغ الفين من الجنيهات بشيك رقم ٩٨٥٧ محولا على مصرفه .. وذلك ثمنا لتمثال نحاسي للمعبود بوذا الهندي .. وهو تمثال يعلم مستر لوبين انه لا يساوي اكثر من خمسة عشر شلنا » .

وقدم لوبين الايصال اليه .. فذيله بتوقيعه . واعاده الى لوبين .

وقال السير امبروز :

ـ ليتني أعلم الدافع الذي حملك على شراء هذا التمثـال اللعين .. حتى عمي نفسه لم يشترط علينا الحصول على اكثر من الف جنيه له . ولكني رأيت مضاعفة القيمة للظفر بشيء اضافي من المال .. فمن عرض الف جنيه ثمنا لقطعـة من النحاس لن يضيره ان يدفع الفين .

وتنهد السير جرانج تنهدة عميقة ، ثم استطرد :

ـ حسنا يا سيدي .. لن يسوءني أن تتمكن من الحصول
على أي ربح من هذا التمثال .. ها .. ها .. ها .. ! هل
لك في كأس أخرى ؟!!
فقال لوبين برفق :
ـ كلا .. شكرا لك ، لنرجىء الشراب الى فرصة أخرى ،
فاني في عجلة من أمري .. وعلى موعد هام .
وفي طريقه الى منزله . عــرج على منزل بيتركونتين
زائرا .. وصــارحه برأيه في السير امبروز جرانج وهو
مستضحك جذل .
وعندما أوى لوبين الى مخــدعه في تلك الليلة .. كان
تمثال المعبود بوذا رابضا فوق النضد المجاور للفراش .
وارسل لوبين للتمثال قبلة هوائية .. ثم اطفأ النور .
واستغرق في نوم لا تشوبه الاحلام والرؤى المزعجة .

*

وعند ظهر اليوم التالي وصل لوبين الى فندق سافوي
وفي الساعة الثانية بعد الظهر عثرت عليه باتريشيا هولم
في مطعم الفندق نفسه .
واومأ لوبين للخادم ، كي يجلب قدحا آخر من القهوة
لباتريشيا .
ثم التفت اليها .. وقال : حسنا .. أين بيتر ؟
ـ لقد استوقفته صديقته أمام واجهة أحد الحوانيت
لتتفرج على نوع جديد من الجوارب .. فتركهما وشأنهما
وسارعت بالمجيء الى هنا .
ورفعت باتريشيا حاجبيها .. ونظرت الى لوبين متسائلة
ثم قالت :
ـ كنت اعتقد انك ستتناول طعام الغداء مع ذلك الامريكي .
فوضع لوبين قطعتين من السكر في قدحه .. وحركهما
بالملعقة حتى ذابا ثم رشف رشفة من القهوة .. وقال :
ـ اصغي الي يا بات .. سأفضي اليك الان بقصة من اغرب

قصص النصب والاحتيـــــال .. واني ابيح لك تسجيلها في
مذكراتك التي تعدينها تمهيدا لاصـــدار كتابك العظيم عن
الجرائم والمجرمين .
واشعلت باتريشيا لفافة تبغ .. وحدقت في وجه لوبين
مشدوهة مأخوذة وهي بين مصدقة .. ومكذبة .
واردف لوبين برزانة .. وهدوء :
ـ يحكى أن شريرا قابل سمجا .. وتعمد السمج الظهور
بمظهر الرجل الذي لا يقهر ولا يغلب .. فأغاظ ذلك الشرير
واهاجه .. وجعله يتحرق شوقا الى فرصة تبيح له وقف
ذلك الاحمق المغرور عند حده .
واتفق أن كان السمج يملك شيئا يريد بيعه .. ولنفرض
أنه تمثال نحاسي للمعبود بوذا ، تقدر قيمته بمبلغ خمسةعشر
شلنا .. ولكن السمج كان مرغما على بيع هذا التمثال بمبلغ
ألفي جنيه ، وذلك ليستطيع التحرر من قيد ثقيــل الوطأة
فرض عليه في وصية يرث بمقتضاها ثروة ضخمة .
وقد سأل السمج الشرير عن رأيه في المشكلة .. فأجاب
هذا بانها ولا ريب معضلة عويصــة ربما يستحيل حلها على
ومضى الشرير لشأنه .
الاطلاق .
وكف لوبين عن الكلام ريثما يقدم لباتريشيا لفافة جديدة .
ولما اشعلها لها . استطرد قائلا :
ـ ومضى يوم على لقاء الشرير السمج .. وفي اليوم الثالث
التقى الاول صدفة بالامريكي الظريف اثناء بحثه عن تمثال
نحاسي معين للمعبود بوذا تقدر قيمته بخمسة عشر الفا من
الجنيهات .
وفي معرض الحديث بين الشرير والامــريكي الظريف ،
افلت الاخير بعض معلومات جعلت الشرير يعتقد اعتقادا جازما
لا لبس فيه ولا ابهام ، ان التمثال الذي يسعى صاحبه الى
العثور عليه جاهدا غير متلبث ، ان هو الا التمثال بعينه الذي

حاول السمج بيعه بالسعر الذى يعتقد انه لا يتناسب مطلقا مع قيمة التمثال التافهة .

وقد وجد الشرير فى الفرصة التى عرضت له ، فرصة ذهبية نادرة للكسب الحلال ، أو الحــرام ؛ فالاثنان لديه سواء . للحصول على التمثال بالفين من الجنيهات . وبيعه بخمسة عشر الفا .

ولم يتردد الشرير فى انفاذ خطته . فطار الى السمج يعرض عليه شراء التمثال بالمبلغ الذى حدده من قبل .

وتردد السمج قليلا .. أو انه تظاهر بالتردد . ثم قبل فى النهاية التنازل عن ملكية التمثال . فأعطاه الشرير شيكا بالمبلغ . واخذ عليه ايصالا به ذكر فيه انه (أى الشرير) يعلم حق العلم أن التمثال لا يساوى اكثر من خمسة عشر شلنا . والحكمة فى ذلك ، اقامة الدليل على براءة السمج من تهمة الاحتيال على المشترى .

وما أن استولى « الشرير » على التمثال حتى خف من فوره لمقابلة الامريكى الظريف . والحصول على المبلغ الكبير الذى وعده به ان هو جاءه بالتمثال . ولكن يؤسفنى يابات ان اقرر ان هذا « الشرير » اضطر فى النهاية ان يدفع ثمن غدائه بعد ان كان قد اتفق مع الامريكى الظريف على أن يتناولا الطعام معا على نفقة الاخير .

وبدت فى عينى لوبين نظرة حزينة ، وهو ينشر الفاتورة التى وضعها الخادم امامه فى تلك اللحظة .

ونظرت باتريشيا الى لوبين بعينين تنطقان بوضوح عن مدى الدهشة والعجب الذى كان يخالجها .

وهتفت : لوبين ؟ ! هل دفعت ..

ــ نعم .. دفعت الفين من الجنيهات من المبلغ الذى ربحناه فى الشهر المنصرم من سباق الجياد ، لذلك السمج الثقيــل الظل و ..

ولكنه أمسك فجاة وتدلى فكه .

ففى هذه اللحظة اقبل جيمس ج . امبرسون من الخارج مهرولا فى تلك اللحظة . وكان يحمل قبعته الضخمة فى يده .. ويجفف العرق الذى كان يتصبب من جبينه .

وتهالك القادم فوق أحد المقاعد .. قبالة المنضدة التى كان يحتلها ارسين لوبين وصديقته باتريشيا هولم .

ثم صاح :

ــ قل انك لم تحسبنى قد لاقيت حتفى ؟ ! لا ريب ان ساعتى تعطلت وانا انقب فى حوانيت لندن عن التمثال اللعين . واتفق ان وقعت عيناى على ساعة فى أحد الميادين .. فألفيتنى قد تأخرت عن الموعـد المضروب بيننا كثيرا .. فجئت على عجل .. فأرجو المعذرة .

فغمغم لوبين برفق :

ــ حسنا .. حسنا .. انك لم تلقى مستر امبرسون من قبل يابات .. انه الامريكى الظريف الذى كنت أحدثك عنه منذ هنيهة .

وقدم الاثنين كليهما الى الآخر .

فقال الامريكى :

ــ شد ما يسرنى أن أتعرف اليك يا مس هولم .. اكبر ظنى أن مستر لوبين قد حدثك كيف كان تعارفنا امس .

ورفع يد باتريشيا الى فمه .. ولثمها باحترام .

واستطرد :

ــ حسنا يا مستر لوبين .. اذ كنت قد تناولت طعــام الغداء . فلا اقل من كأسين نتناولهما معا .

و أشار الى الخادم ليتقدم .. وأمره بجلب ثلاث كؤوس من الوسكى .

ثم تحول الى لوبين .. وقال :

ــ هل جئتنى بذلك التمثال اللعين ؟

فمال لوبين الى الأمام فى مقعده .. ومد يده تحت النضد والتقط حزمة صغيرة .. ثم أجاب :

ـ ها هو !!

فنظر امبرسون الى الحزمة كالمصعوق المأخوذ .. ثم اختطفها من يد لوبين .. وراح يمزق الاوراق التى لفت حول التمثال بلهفة . وانفعال .

وما ان وقع بصره على التمثال ، حتى انبعث من بين شفتيه صفير خافت عبر عما كان يخالجه من دهشة وعجب .

ثم هتف : معذرة .. معذرة يا آنسة هولم .. ولكن ..

فسأل لوبين : ما قولك اذن ؟ أليس هذا هو التمثال الذى تبحث عنه منذ أمد بعيد ؟ .

فأجاب الامريكى ، وهو ينعم النظر فى التمثال فى نظرة اعجاب وحب ، كما تفعل الام حين تستثيرها عاطفة الحنان من نحو رضيعها :

ـ نعم .. نعم .. انه هو بعينه .. بماذا وعدتك أمس ؟! خمسة عشر الفا من الجنيهات ؟!

وأخرج حافظة نقوده .. وجعل يعد أوراقا مالية امريكية قيمتها خمسة عشر الفا من الجنيهات .

وقال : اليك المبلغ المتفق عليه يا مستر لوبين .. انك لا تعلم كم أنا مدين لك بالشكر وعرفان الجميل .. وأرجو أن تسمح لى بالانصراف الآن .. فانى أرى وجوب الاتصال بمستر لويس فروسارد بالتليفون اللاسلكى لازف اليه هذا النبأ السار .. على أن انطلق أولا الى أحد المصارف الكبيرة لاودع هذا التمثال الثمين أمانة فى خزانتها ..

ونهض واقفا .. واستتلى :

ـ سوف اتصل بك تليفونيا . لادعوك الى وليمة فاخرة فى الاسبوع القادم .

وتصافح الرجلان بحرارة . .ولثم الامريكى يد باتريشيا

باحترام .. ثم التقط قبعته . ومرق من الباب كالسهم ..

وفى ردهة الفندق التقى الامريكى برجل ضئيل الجسم ، أنيق الهندام غزير شعر الشارب ..

وقبض الرجل على ذراع جيمس ج. امبرسون.. وسأل بلهفة :

ـ هل حصلت عليه ياجيم ؟

فأجاب امبرسون وهو يلوح بالتمثال :

ـ وهل فى ذلك من ريب ؟!

نطق امبرسون بهذه العبارة بلهجة انجليزية سليمة .. لا اثر فيها للكنة الامريكية . ثم استطرد :

ـ هل لك أن تصارحنى بالدافع الى شرائه يا امبروز .؟ لقد كنت أحزم حقائبى استعدادا للفرار ، عندما باغتنى بهذه المهمة الغريبة التى كلفتك خمسة عشر الفا من الجنيهات ..

فأسرع رفيقه يقول :

ـ اصغ الى ياجيم .. سأحدثك بمضمون القصة . اتفق امس ان ركبت سيارة امنيبوس .. وكان يجلس قبالتى رجل وفتاة كانا منهمكين فى حديث بدا من لهجتهما أنه خطير .. وكانت أول عبارة بلغت مسامعى من حديثهما قول الرجل لصاحبته : « جواهر تقدر بعشرين ألفا من الجنيهات فى تمثال نحاسى للمعبود بوذا » .

وتمهل محدث الامريكى (المزيف) ريثما يلتقط أنفاسه.. ثم استطرد :

ـ ان حديث المال يسيل اللعاب كما تعلم .. وقد جعلتنى تلك العبارة التى بلغت أذنى عن مبلغ ضخم كهذا أرهف السمع لما يقولان .

وقد عرفت من حديثهما أن الرجل كاتب أحد المسجلين.. وكان يفضى الى الفتاة بقصة غريبة .. مؤداها أن رجلا عرف بالشح والتقتير أودع تمثالا نحاسيا للمعبود بوذا جواهر ثمينة

تقدر بعشرين الفا من الجنيهات بعد وفاة زوجته فلما مات الرجل لم يعثر ورثته على الوثيقة التى سجل فيها موقع المكان الذى خبأ فيه التمثال الا بعد انقضاء وقت طويل . ولكنهم مع ذلك كانوا يجهلون نبأ الجواهر المودعة بجوفه .

قال الرجل لصاحبه :

ـ فينبغى اذن ان تبحث عن التمثال . فقد بيع الى تاجر من تجار الاشياء التافهة . والله يعلم أين هو الآن .

فسألته الفتاة :

ـ ومن اين لك أن تعرف أنك عثرت على التمثال المعين ان هو وقع بين يديك ؟

فأجابها صاحبها : هذا سهل ميسور . فقد نقشت على التمثال علامة مميزة هذا شكلها .

واخرج الرجل من جيبه قطعة من الورق ورسم عليها شكلا معينا .

ولست اكتمك اننى كدت أدق عنقى وانا اشرئب لالمح الرسم .

وكف صديق امبرسون عن الحديث واشعل لفافة تبغ وقال :

ـ والآن هلم بنا الى الدار لنحطم التمثال ونستولى على ما فيه من جواهر .

* * *

قال لوبين لبيتر وهما يتقدمان نحو مصرف توماس كوك لاستبدال الاوراق المالية الامريكية بأخرى انجليزية :

ـ آمل الا يصعق امبروز وجيمس ج. امبرسون عندما يجدان حفنة من الحصى فى جوف التمثال .

« تمت »